الجمهوريّة التونسيّة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة صفاقس
كلّيّة الآداب و العلوم الإنسانيّة بصفاقس

بحوث جامعيّة

RECHERCHES UNIVERSITAIRES
ACADEMIC RESEARCH

مجلّة في الآداب و العلوم الإنسانيّة

العدد 14 - 15
جويلية 2020

مكتبة علاء الدين
صفاقس-تونس 2020

بحوث جامعيّة

مكتبة علاء الدين
صفاقس-تونس 2020

I.S.S.N: 1737-1007
1737 1001

République Tunisienne
Ministère de l'enseignement supérieur
et de la recherche scientifique
Université de Sfax
Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Sfax

بحوث جامعيّة

RECHERCHES UNIVERSITAIRES
ACADEMIC RESEARCH

Revue de littérature et sciences humaines

N° 14 - 15
Juillet 2020

مكتبة علاء الدين
صفاقس-تونس 2020

بحوث جامعيّة

RECHERCHES UNIVERSITAIRES
ACADEMIC RESEARCH

الجمهوريّة التونسيّة

جامعة صفاقس

كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس

بحوث جامعيّة

RECHERCHES UNIVERSITAIRES
ACADEMIC RESEARCH

العدد المزدوج 14 - 15

(جويلية 2020)

مكتبة علاء الدين

صفاقس-تونس 2020

بحوث جامعيّة

دوريّة تصدر عن كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس

العدد المزدوج 14 - 15 جويلية 2020

المدير المسؤول:

محمّد بن محمّد الخبو

رئيس هيئة التحرير:

منير التريكي

أعضاء هيئة التحرير:

عقيلة السلّامي البقلوطي - محمّد بن عيّاد -
منير التريكي - محمّد بن محمّد الخبو - مصطفى الطرابلسي-
فتحي الرقيق - محمّد الجربي

كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس
صندوق بريد 11.68، صفاقس 3000 تونس
الهاتف: 74.670.557 (216+) - 74.670.558 (216+)
الفاكس: 74.670.540 (216+)
الموقع الإلكتروني: www.flshs.rnu.tn

مكتبة علاء الدين
صفاقس - تونس
الهاتف 52.611.668 (216+) - librairiealaeddine@yahoo.fr

ر.د.م.م: I.S.S.N: 1737-1007

شكر

تشكر "إدارة بحوث جامعيّة" جزيل الشكر الأساتذة الذين أسهموا في تحكيم الأعمال العلميّة بالنسبة إلى العدد المزدوج 14 و15 وهم:

- عبد العزيز العيّادي،
- ناجي العونلّي،
- محمّد بن محمّد الخبو،
- مراد بن عيّاد،
- رابح النابلي،
- فتحي الرقيق،
- محمّد الجربي،
- الحبيب الجمّوسي،
- المبروك الباهي،
- حاتم عبيد،
- سلوى النجّار،
- منير التريكي،
- نور الدين الفلاّح،
- كمال إسكندر.

الملكة اللغويّة في مقدّمة ابن خلدون

رضا الطيّب الكشو

كلّية الآداب والعلوم الانسانيّة بصفاقس

ملخّص البحث

هذا البحث مشروع قراءة لسانيّة لمفهوم الملكة. وقد جاءت زمانيّة (diachronic) انطلاقا من مقدّمة ابن خلدون. ويسعى هذا البحث إلى حدّ الملكة والوقوف على تسمياتها ومعانيها لثلاثة أسباب ، أوّلها أنّ هذا المفهوم أساسيّ في تعليم اللغة العربيّة للعرب ولغير العرب، وثانيها أنّ الدراسات العربيّة لم تول الملكة حظّها من الدراسة. وثالثها أنّ تحليل الملكة اللغويّة زمانيّا ضرب من تعريف الملكة تزامنيّا synchronic وإسهام في استجلاء منزلة ابن خلدون اللغويّة في كتاب المقدّمة.

Synoptic:

This research is a project of a linguistic read of the Competence concept. It came out diachronically from the "Introduction" of the IbnKhaldun. This research seeks to definite the Competence and stands on its names and their meanings, for three reasons. First, this concept is essential in teaching Arabic to Arabs and non-Arabs. Second, the Arab Studies did not reserve to the Competence the importance it deserves. Third, the linguistic competence diachronic analysis contributes in knowing the Competence Synchronically and knowing Ibn Khaldoun status in the "Introduction" book.

Synoptique:

Cette recherche est un projet de lecture de la notion de la compétence (al malakah). Cette analyse est diachronique à partir du livre d'Al Mouqadimah (L'Introduction).

Cette recherche essaie de définir les appélations de la compétence pour trois raisons. La première revient à l'utilisation de ce concept dans l'apprentissage de la langue arabe aux arabophones et aux non arabophones. La deuxième raison est

due aux études arabes qui n'ont pas étudié ce concept. La troisième raison est due à ce que l'analyse diachronique de la compétence n'est qu'un genre de définition synchronique.

Cette recherche est une collaboration pour éclaircir la valeur linguistique d Ibn Khaldoun dans son livre historique qui est Al Moukadimah (L'Introduction).

1. إشكاليّة البحث.

لئن لفت انتباهنا استعمال ابن خلدون مصطلح الملكة في سياقات متباينة فقد أثارنا ما ألحقه به من صفات أو إضافات. ودفعنا إلى أن نتساءل عن الدواعي التي دعته إلى ذلك. فإن اتّفقت تلك التسميّات دلّ ذلك على أنّ الملكة واحدة . وعندئذ ما الذي دعا ابن خلدون إلى أن يستعمل دوالّ عديدة لمدلول واحد؟

وإذا كانت تلك الدوالّ من المترادفات فهل يمكن أن تتّفق في جميع ما فيها من دوالّ مختلفة؟ وإن اختلفت تلك التسميات وجب أن ننظر في درجات الاختلاف بينها لنتبيّن إن كانت الملكة عند ابن خلدون واحدة تتضمّن مكوّنات تستوجب تسميّات تظهر ما بينها من فويرقات أم أنّ تلك التسميّات تدلّ على ملكات مختلفة؟ ورأينا أنّ الأمر يستوجب النظر والتحقيق في ما أثارنا علّنا ندرك إضافة رأي دقيق. فإن تمّ لنا ذلك واتّضح المصطلح والمفهوم تجاوزنا دراسة الملكة معزولة عن سياقها ونظرنا في طرائق توظيفها في تفسير التغيّرات الاجتماعيّة.

يتواتر مصطلح الملكة في مقدّمة ابن خلدون[1] لصلته بالصنائع وعلوم اللّسان

1 اعتمدنا في بحثنا الطبعة التالية: ابن خلدون (عبد الرحمان)، (د.ت)، المقدّمة، بيروت، دار الجيل، 657 ص. انظر:

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبرن ط بولاق 1876.

وطبع في دار الكتاب اللبناني في ما بين 1956 و1959 وفي بيروت أيضا سنة 1979 في مؤسسة جمّال. ونشر في 2006 في تونس بمناسبة إحياء مرور 600 سنة على وفاته. ونشرت المقدّمة مرّات عدّة منها: المقدّمة، تقديم جمعة شيخة، الدار التونسية للنشر 1989 (جزءان). لمعرفة نشر المقدمة وتاريخ ابن خلدون، الرجوع إلى:

نجاحي (محمد العزيز)، (جوان 2006)، ابن خلدون في الكتابات المعاصرة، مدخل بيبليوغرافي، صفاقس (تونس) مكتبة علاء الدين، 215 ص.

مثلما توحي به عناوين بعض الفصول[1]. وتنتابنا الحيرة في استعماله لتعدّد أشكال التعبير عنه؛ وتدفع إلى التساؤل هل هي مترادفات أم هي تسميات تختصّ بسمات معيّنة وتحقّق فوارق معنويّة محدّدة؟

ويكشف لنا الإحصاء استعمال الملكة استعمالا مجرّدا في مائة واثنتين وسبعين حالة[2] مقابل إلحاق صفة من الصفات بالملكة في عشرين تسمية بتواتر ثمان وأربعين مرّة وإضافة الملكة في ثمان وثلاثين تسمية بتواتر أربعين مرّة. وإذا عمد ابن خلدون إلى استعمال ثمان وخمسين تسمية بتواتر ثمان وثمانين مرّة فإنّ هذا الكمّ من توليد التسميات يستوجب البحث ويقتضي النظر في مواطن الاستعمال وسياقاتها ومداليلها.

وتنبني دراسة الملكة في المقدّمة على مفارقة تكمن في تعدّد تسمياتها في نصّ المقدّمة من جهة وسكوت الباحثين عن ذلك من جهة أخرى. فقد درس الباحثون العرب الملكة دون تدقيق أشكال التعبير عنها والتساؤل عن أسباب تعدّد تسمياتها. فمحمّد عيد[3] نظر في صلات الملكة بالقرآن والشعر والنحو. وهدف

1 خصّص ابن خلدون لموضوع الملكة الفصول التالية:
- فصل في أنّ من حصلت له ملكة في صناعة فقلّ أن يجيد بعد ملكة أخرى ص449.
- فصل في أنّ اللغة ملكة صناعيّة ص ص 613-614.
- فصل في تعليم اللسان المضريّ ص 619.
- فصل في أنّ ملكة هذا اللسان غير صناعة العربيّة و مستغنية عنها في التعليم ص ص 620-622.
- فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنّه لا يحصل للمستعربين من العجم ص ص 622-624.
- فصل في أنّ أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانيّة التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربيّ كان حصولها له أصعب وأعسر. ص ص 625-627.
- فصل في أنّه لا تتّفق الإجادة في فنّي المنظوم و المنثور معا إلا للأقلّ، ص ص 629-630.
- فصل في صناعة الشعر و وجه تعلّمه ص 630-639.
- فصل في أنّ صناعة النظم والنثر إنّما هي في الألفاظ لا في المعاني ص 639.
- فصل في أنّ حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ و جودتها بجودة المحفوظ ص ص 640-643.

2 يتواتر مصطلح الملكة في مائة و واحد و ثلاثين مرّة. ويرد نكرة في خمس عشرة حالة.

3 عيد (محمّد)، (1979)، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، القاهرة، عالم الكتب، 174 ص.

ميشال زكريا في بحثه[1] إلى إظهار بعض الآراء اللغويّة المتطوّرة التي أتى بها ابن خلدون في المقدّمة. وسعى إلى مقارنتها بمباحث اللسانيّات. وتبيّن توافقا بين الملكة عند ابن خلدون والكفاية اللغويّة،[2] وتتبّع عبد القادر المهيري استعمال مصطلحي "اللغة" و"اللسان" في مقدّمة ابن خلدون[3]. فانتهى إلى أنّ ابن خلدون يستخدمهما مترادفين. وساق شواهد على ذلك. وخصّ مصطلح "اللغة" بالتعميم و"اللسان" بالتخصيص. وتميّز مصطلح اللغة باستعمالات يقتضيها السياق ولا

---

1 زكريا (ميشال)، (1986)، الملكة اللسانية في مقدّمة ابن خلدون، (دراسة ألسنيّة)، بيروت، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات و النشر و التوزيع، 144ص

2 القدرة التواصليّة ترجمة لمصطلح Communicative competence وتترجم أيضا بالكفاية أو بالكفاءة؛ ويقترن هذا المصطلح بمصطلح Performance الذي يترجم بالإنجاز أو الأداء. انظر: الكشو، رضا، (2003) القدرة التواصليّة و تعليم اللغة رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة منوبة تونس. وسايرنا في هذه الترجمة عبد القادر فاسي الفهري، انظر إلى معجمه: معجم المصطلحات اللسانيّة، انجليزيّ -فرنسيّ- عربيّ بمشاركة نادية العمري، لبنان نشر دار الكتاب الجديد المتّحدة ص 48.

- واستعمل وليد العناتي مصطلح الكفاية في بحثه الموسوم بـ: تحليل الخطاب وتعليم اللغة الأجنبيّة من الكفاية اللغويّة إلى الكفاية الخطابيّة. انظر أعمال مؤتمر اتجاهات حديثة في تعليم العربيّة لغة ثانية 10-12 ربيع الآخر 1435 هـ / 10 -12 فبراير 2014 م معهد اللغويّات العربيّة، جامعة الملك سعود للنشر 1435 صص37 – 61.
- ويستعمل عبد الكافي البيريني مصطلح الكفاءة في بحثه الموسوم بـ: اللغة العربيّة في المهجر: الكفاءة اللغويّة لدى أبناء الجيل الثاني صص 19 – 35. انظر أعمال مؤتمر معهد اللغويّات العربيّة السابق الذكر.
- استعمل المهيري و صمود مصطلح الكفاءة التواصليّة و الإنجاز في:
- أوزوالد دوكرو – جان ماري سافّار، (2010) المعجم الموسوعيّ الجديد في علوم اللغة (ترجمة) المهيري (عبد القادر) وصمود (حمّادي)، تونس، دار سيناترا.
- استعمل عزالدين المجدوب مصطلح الكفاءة انظر:
- جاك موشلر – آن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتداوليّة، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، تونس، المركز الوطنيّ للترجمة، دار سيناترا ص 34.
- المهيري (عبد القادر) وصمود (حمّادي)، (2010) المعجم الموسوعيّ الجديد في علوم اللغة (ترجمة) بإشراف أوزوالد دوكرو– جان ماري سافّار، تونس، دار سيناترا.

3 المهيري (عبد القادر)، (1993)، نظرات في التراث اللغويّ العربيّ، مصطلحا "اللغة" و"اللسان" عند ابن خلدون، دار الغرب الإسلامي ص ص 181-187. (نشر المقال أوّلا في "حوليّات الجامعة التونسية" عدد 25 في 1986 ص ص 27-35.)

يؤدّيها مصطلح اللسان. فهي أداة التخاطب، وهي معنى ما نسمه اليوم باللهجات، وهي معنى المفردات التي تضمّها المعاجم. ويرادف "اللسان" اللغة في دلالة كليهما على نظام علاميّ بعينه. وإذا سعى عبد القادر المهيري إلى تدقيق استعمالي اللغة واللسان فمن باب أولى أن ندقّق استعمال مفهوم الملكة وما قد يضمره من كمون وإنجاز. وهذا ما قد يساعد على تفسير الأحداث التاريخيّة واستجلاء نشوئها واندثارها.

وحاول عبد السلام المسدّي[1] أن يكشف عن البنية العلميّة التي أسّس عليها ابن خلدون تصوّره للمعارف اللغويّة وتصنيف أفنانها. كما نظر في الإحكام التنظيمي بين المعرفة اللغويّة وسائر المعارف الكونيّة. والرأي أنّه إذا اهتدينا إلى العلاقة بين العلوم اللغويّة بعضها ببعض وبينها وبين المعارف الكونيّة قد نخلص إلى روابط تنبني عليها المنظومة المعرفيّة لكلّ ما صدر عن ابن خلدون. وحلّل المسدّي قضيّة الاكتساب اللغويّ انطلاقا من فكرة الملكة وملابساتها التجريبيّة. وبيّن أنّ الإنسان يعي الملكة كلاّ لا يتجزّأ دون أن يدرك بالضرورة الأجزاء. وإذا أشار الباحث إلى مفهوم الملكة فإنّه لم يُعن بمكوّناتها كما لم يُعن بعلاقتها بالتاريخ الاجتماعيّ.

ويرى فوزي رشيد "أنّ الإنسان لم يتوصّل إلى صناعة اللغة إلاّ بعد أن مرّ بسلسلة طويلة من التطوّرات البايلوجيّة. ولم يكن ليخطو الخطوات الأولى في مجال تصنيع لغته إلاّ بعد أن تطوّر إلى مرحلة الإنسان العاقل في حدود 45 ألف سنة قبل الميلاد[2]. وساق الباحث الأدلّة على ذلك معتمدا على أعمال الحفر والتنقيب وعلى أنّ اللّغة صنعة بشريّة. وحاول رشيد فوزي أن ينظر في تصنيع اللغات عامّة واللغة العربيّة خاصّة وإن تطرّق فوزي رشيد إلى صناعة اللغة فإنّه لم يربطها بالملكة.

ولمّا كانت أشكال التعبير عن الملكة في مقدّمة ابن خلدون قد اطّردت فإنّنا نتساءل عن الفرق بينها وبين استعمال المصطلح مجرّدا وعن الفرق بين بعضها البعض. وإذا ورد مصطلح الملكة المجرّد معرّفا في ثلاث وتسعين حالة فهذا قد

1 المسدّي (عبد السلام)، (جانفي 1994) "قضايا في العلم اللغويّ، الفصل الرابع ص ص 151-192، تونس، الدار التونسية للنشر.

2 رشيد (فوزي)، (ماي 2006)، أفكار جديدة حول الملكة اللسانيّة عند ابن خلدون، مجلّة الحياة الثقافيّة (تونسيّة) العدد 173 عدد خاصّ بابن خلدون ص ص 246 -251.

يعني أنّ ابن خلدون استعمله في مدلول يشترك الناس في فهمه إلاّ أنّ وروده في صيغة الجمع نكرة في خمس حالات و صيغة الجمع معرفة في سبع عشرة حالة يولّد أسئلة عدّة. فهل يضمر الجمع مجالات الملكة أم يوحي ببعض خصوصيّاتها؟ وهل يتّفق الفلاسفة و أهل اللّغة على هذه المجالات والخصوصيّات أم يذهبون في فهمها مذاهب شتّى؟ وتقتضي الإجابة عن هذه الاستفهامات أن نحدّد مصطلح الملكة لغة واصطلاحا. ويقضي حدّ الملكة إحصاء استعمالاتها وتتبّع سياقاتها، وهو ما نُعنى به في المرحلة الأولى من هذا البحث. وإذا تعدّدت تسميات الملكة فيحتمل أنّها قد تشترك في بعض الخصوصيّات أو تنبني على سمة محوريّة تجمع بينها على اختلافها. وهذا ما سننظر فيه في مرحلة ثانية. وتكون العلاقة بين الجزئين استجلاء فتعليلا.

وإذا انطلقنا في دراسة الملكة من نصّ المقدّمة وأحصينا التسميات وتتبّعنا سياقات الاستعمال وربطناها بمباحث اللغويين والفلاسفة لعصر ابن خلدون وما قبله فإنّنا ننفتح أيضا على الدراسات الحديثة لنحلّل بذلك المفهوم قديما وحديثا ونتبيّن ما قد تتضمّن "المقدّمة " من بذور هذه المسألة وما تنزّلت فيه من حدود.

2. الملكة أ هي ملكة أم ملكات؟

نحدّد الملكة لغة واصطلاحا لنستجلي أ هي ملكة أم ملكات؟

1.2. الملكة لغة

ما يلفت الانتباه أنّنا لا نعثر على مصطلح الملكة في كتاب العين للخليل[1]. فقد أورد لفظ "المَلْكُ" فحسب، بمعنى ما ملكت اليد من مال وخول. ويورد "ابن فارس" في "مقاييس اللّغة" استعمال "فلان حسن الملكة بمعنى حسن الصنيع إلى مماليكه"[2]. وجاء الفعل "ملك" في معنى قوّى في الشئ وصحّحه ويُقال أملك عجينه أي قوّى عجنه وشدّه. وملّكت الشّئ قوّيته. ويعتبر ابن منظور في لسان

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرّحمان) (م 174 ه)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال المجلّد الخامس ص 380.

2 ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القز ويني) (م 395 ه)، معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السّلام محمّد هارون. بيروت دار الجيل المجلّد الخامس ص 351.

العرب[1] الملكة لفظا مرادفا للمَلك الذي يعني سواء كان مكسور الميم أو مفتوحها أو مضمومها احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به.

ونفهم من الاستعمالات اللغويّة للملكة معنى التحكّم في أمر ما بالسيطرة عليه والاستبداد به. وهو ما تدلّ عليه استعمالات المعاجم القديمة (ما ملكت اليد من مال وخول) و(ملكنا الماء فأروانا فقوينا على ملك أمرنا) و(ملك العجين). ويكون التحكّم سواء في الماء أو المال أو العجين. ومن ثمّة تعني الملكة التحكّم في اللغة والتصرّف فيها للتعبير عن المقاصد. وتقوى درجتا السيطرة والتحكّم في استعمال الملكة في عبارة (لفظ مملوك) وفي جملة (ملك العبد) وكذلك في لفظ (المملكة) بمعنى سلطان الملك في رعيّته.

واستُعمل لفظ الملكة في مقدّمة ابن خلدون استعمالا لغويّا في خمسة عشر موضعا[2]. واستُعمل فعل (ملك) استعمالا لغويّا خمس مرّات[3] ويهمّنا أن نستجلي المعاني اللغويّة (للملكة) ولفعل (ملك) لنكشف عن صلتهما باستعمالات المعاجم العربيّة وعمّا قد اكتسباه من مدلولات ترجع إلى تنزّلها في سياقات تاريخيّة[4] ولا سيّما

---

1 ابن منظور (جمال الدّين محمّد بن جلال الدّين بن مكرم الأنصاري الخزرجي) (1311 م- 711 ه) لسان العرب، دارالمعارف المجلّد السّادس ص ص 4266، 4269 يورد ملك العجين يملكه ملكا وأملكه بمعنى عجنه فأمعن عجنه وأجاده. وفي حديث عمر: أملكوا العجين فإنّه أحد الرّيعين أي الزيادتين، أراد أنّ خبزه يزيد بما يحتمله من الماء لجودة العجين، وملك العجين يملكه ملكا: قوي عليه. ويشرح الجوهري فعل ملك بملكت العجين أملكه ملكا إذا شددت عجنه. وقد ملكته تملكه ملكا إذا أنعمت عجنه.

2 ورد استعمال الملكة استعمالا لغويّا في الصفحات التالية :138- 139- 160- 163- 164- 166- 167- 179- 182- 189- 208- 209- 238- 256- 334- 335- 415- 416

3 ورد استعمال فعل (ملك) استعمالا لغويّا في الصفحات التالية: 167 و179 و182 و208 و395 و465.

4 علق استعمال الملكة بالموضوعات التاريخية التالية:
الموضوع الأوّل: في إنّ معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة لليأس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم (ص. ص. 138 -140).
الموضوع الثاني: في إنّه إذا كانت الأمّة وحشيّة كان ملكها أوسع (ص.ص. 159- 160).
الموضوع الثالث: في إنّ الأمّة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء (ص. ص. 163 – 164).
الموضوع الرابع: في إنّ العرب إذا تغلّبوا على أوطان أسرع إليها الخراب (ص. ص. 165-166).

العمران البشريّ المتمثّل في استحكام الدول أو خرابها وانقراضها. واقترنت الملكة بذلك بمصطلحات الأمّة والممالك والأوطان والقبائل والعصائب والأمصار والصنائع الإنسانيّة والنبوّة وولاية العهد.

ويعرّف ابن خلدون الملكة لغويّا بما يضيفه السلطان إلى رعيّته. و"هي نسبة بين متسبين"، وتتّضح هذه النسبة في أنّ السلطان من له الرعيّة. والرعيّة من لها السلطان، والصفة التي له من حيث إضافته إليهم هي التي تسمّى الملكة، وهي كونه يملكهم. وتكون الملكة حسنة صالحة أو سيّئة متعسّفة، وتتمثّل توابع حسن الملكة في النعمة على الرعيّة والنظر إلى معاشهم. أمّا التعسّف فينجم عن قهر الملك رعيّته وذلك بأن يبطش بهم بالعقوبات وينقّب عن عورات الناس؛ فيصيبهم الخوف ويعمدون إل الكذب والمكر والخديعة. وقد يخذلون ملكهم في الحرب.

ولا يخرج حسن الملكة وسوؤها في هذا الشاهد عمّا جاء في "تهذيب اللغة" للأزهري[1] ولسان العرب لابن منظور في قوله: "المملكة سلطان الملك في رعيّته،

الموضوع الخامس: في إنّ العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك (ص. ص. 167 – 168).
الموضوع السادس: في إنّ كلّ دولة لها حصّة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها (ص. ص. 178 – 179).
الموضوع السابع: في إنّ الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة (ص. ص. 181 – 183).
الموضوع الثامن: في إنّ إرهاف الحدّ مضرّ بالملك ومفسد له في الأكثر. (ص. ص. 208 – 210).
الموضوع التاسع: في ولاية العهد (ص. ص. 232 – 241).
الموضوع العاشر: في شرح اسم البابا والبطرك في الملكة النصرانيّة واسم الكوهن عند اليهود (ص.ص. 255 – 259).
الموضوع الحادي عشر: في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات (ص. ص. 334 – 335).
الموضوع الثاني عشر: في إنّ المدن والأمصار بإفريقية والمغرب قليلة (ص. ص. 395 – 396).
الموضوع الثالث عشر: في إنّ الأمصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانقراضها (ص. ص. 415 – 417).
الموضوع الرابع عشر: في إنّ الخطّ والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية (ص. ص. 463 – 467).
الموضوع الخامس عشر: في إنّ العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينيّة من نبوّة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة (ص. ص. 166 – 167).

1 الأزهري (أبو منصور محمّد بن أحمد)، تهذيب اللغة، حققّه وقدّم له عبد السلام محمّد هارون، مصر، الدار القومية العربيّة للطباعة، ج 10 ص ص 268 – 273.

يقال: (طالت مملكته) و(ساءت مملكته) و(حسنت مملكته) و(عظم ملكه) و(كثر ملكه) ثمّ قيل ملك الإنسان الشئ يملكه ملكا. والاسم الملك لأنّ يده فيه قويّة صحيحة[1]. ويتّفق هذا الاستعمال مع ما جاء عند ابن خلدون بأنّ الملكة تكون حسنة أو متعسّفة.

ولا تخرج الملكة في المقدّمة عن هذا المعنى الأصليّ غير أنّها تدلّ على ما تُمكّن به القوّة مالكها من الاستيلاء والحوزة والسيطرة والبأس والقبضة والحكم. ولا تكون الملكة امتلاك القوّة فحسب بل تفيد ما ينتج عن توظيف القوّة من امتلاك القدرة على البأس بالرعيّة والتحكّم فيهم والسيطرة عليهم. واستعملت (الملكة) في معاني الاستيلاء والسيطرة والتغلّب. ونستدلّ على ذلك بعطف لفظ الملكة على لفظ التغلّب في قول ابن خلدون: "فإذا كان فيهم (العرب) النبيّ أو الوليّ الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلّف كلمتهم لإظهار الحقّ، تمّ اجتماعهم وحصل لهم التغلّب والملك."

وأكسب ابن خلدون الفعل (ملك) والمصدر منه (الملكة) مفهوما تاريخيّا. فلم يستعملها في معنى ملك الماء أو العجين مثلما أوردته معاجم اللغة بل أكسبها معنى تاريخيّا تمثّل في السلطة والنفوذ. وتدلّ الملكة في المقدّمة على معاني القبضة أو الحوزة و التبعيّة ومعنى الدّولة مثلما تدلّ عليه القولة التالية: "والرئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزّه تكاسل حتّى عن شبع بطنه وريّ كبده. وهذا موجود في أخلاق الأناسيّ. ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وإنّها لا تسافد إذا كانت في ملكة الآدميين. فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال إلى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده. واعتبر ذلك في أمّة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة وفنيت حاميتهم في أيّام العرب بقي منهم كثير وأكثر من الكثير. يقال إنّ سعدا أحصى ما وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألف ربّ بيت. ولمّا تحصّلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم إلاّ قليلا ودثروا كأن لم يكونوا. ولا تحسبنّ أنّ ذلك لظلم نزل بهم أو عدوان شملهم. فملكة الإسلام في العدل ما علمت[2]. وقد دلّت (ملكة الآدميين) في هذا الشاهد على معنى حوزة الآدميين، أمّا (ملكة العرب)

1 ابن منظور، لسان العرب، ص 4266.
2 ابن خلدون، المقدّمة، ص 163.

و(ملكة الإسلام) فاستعملتا في معنى قبضة أو سلطان أو حكم العرب أو الإسلام. وقد عطفت (ملكة العرب) على (قبضة القهر) ممّا يجعلنا نفهم ملكة في معنى القوّة التي توظّف في البأس والبطش بالرعيّة للتحكّم فيهم والسيطرة عليهم ولا تقوم سياسة الملك، حسب ابن خلدون، إلاّ بالقهر بدليل قوله: "وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر وإلاّ لم تستقم سياسته"[1]، وتخفّ شحنة القوّة والبطش في استعمال التركيب الإضافيّ ملكة الإسلام لاقترانه بالعدل ممّا يجعلنا نفهم (ملكة) في معنى حكم.

ولا تدلّ لفظة الملكة في حدّ ذاتها على القهر أو مجرّد التحكّم، فقد ينتج هذان المدلولان من انعكاس سياسة المالك على الرعيّة. فلو كان الرؤساء والأمراء المالكون لأمر الناس جائرين فإنّ الملكة تشحن بقهر المالك وبطشه وبأسه لتوحي بالإذلال والاضطهاد والخوف. فجور المالك يذهب المنعة عن الرعيّة ويخلق فيها التكاسل: "وإن كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعاني منها حكم ولا منع وصدّ كان الناس من تحت يدها مدلين بما في أنفسهم من شجاعة وجبن واثقين بعدم الوازع حتّى صار لهم الإدلال جبلّة لا يعرفون سواها"[2]. ويعطف ابن خلدون في موضع آخر من المقدّمة الملكة على المعاناة من الأحكام، فالأحكام بالعقاب تذهب بأس الرعيّة وتكسر شوكتهم. فإذا وقع العقاب والبطش ولم تدافع الرعيّة عن نفسها فإنّها تكسب المذلّة.

ويرتبط الرفق في ملكة الرعيّة بتوفّر العمران. وينصح ابن خلدون بانتهاجه كما جاء في قوله: "اعلم إنّه قد تقرّر لك فيما سلف أنّ الدّولة في أوّل أمرها لابدّ من الرفق في ملكتها والاعتدال في إيالتها إمّا من الدين إن كانت الدعوة دينيّة أو من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعيّة للدول. وإذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران وأسبابه فتوفّر... ولا تقولنّ إنّه قد مرّ لك أنّ أواخر الدّولة يكون فيها الإجحاف بالرعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه"[3].

يتجلّى أنّ معاني الملكة في استعمالاتها اللغويّة لا تنجم عن المعنى المعجميّ للّفظ فحسب ولا على محافظته على معناه الأصليّ في سياقات الاستعمال بل تنشأ عن

1 ابن خلدون، المقدّمة، ص 167.
2 المرجع السابق، ص 138.
3 المرجع السابق، ص 334.

سياسة الملك وجور الرؤساء بالرعيّة أو رفقهم بهم، فالبطش يشحن لفظ الملكة السيطرة والتحكّم إلى أن يبلغ القهر. ولا يستقيم الملك في بعض الحالات إلاّ بالقهر لتنقاد الرعيّة. وإذا اقترنت الملكة بالرفق وتنزّلت في سياسة العدل والتجافي عن أموال الناس بتخفيف الجباية والمغارم فإنّها تدلّ على معاني التبعيّة والإمرة والحكم. وتفقد الملكة شحنات القهر "وذلك إنّه ليس كلّ أحد مالك أمر نفسه إذ الرؤساء والأمراء المالكون لأمر الناس"[1]. وإذا تنزّل لفظ الملكة في سياق الغزو والتغلّب فإنّه يحقّق معنى الاستيلاء.

نتبيّن إذًا ممّا حللّنا من استعمالات الملكة استعمالا لغويّا أنّها دلّت على معناها اللغويّ الأصليّ المتمثّل في القوّة في امتلاك الأشياء والسيطرة عليها إلاّ أنّ هذا المعنى يقوى ويضعف بما ينتهجه الملك من جور بالرعيّة أو رفق بها وطبق فترة الحكم، فقد تقتضي بداية الحكم إمّا السيطرة لتركيز المملكة أو الرفق حفاظا على العصبيّة.

وقد يخفّ الجور على الرعيّة لانصراف الحكّام إلى الترف أو لتحكّمهم في المملكة وانقياد الناس لإمرتهم. وتؤثّر سياقات الاستعمال في تحقيق درجات القوّة وما يتولّد عنها من استيلاء وقهر أو حوز وتحكّم واتّباع. ونستدلّ على هذه الفوارق المعنويّة لمفهوم الملكة بما تُعطف عليه من أسماء و ما تعلق به من أفعال وتقترن به من فواعل تولّد مفهوم الملكة. وتنصهر كلّ هذه المؤثّرات وتتعاضد لتحقّق مدلول الملكة وخصوصياته.

نخلص إذًا إلى أنّ استعمالات الملكة تنوّعت واتّسعت في مقدّمة ابن خلدون مقارنة بما أوردته معاجم اللغة، فلم تعد الملكة تقترن بالماء والعجين بل تطوّرت دلاليّا من معناها الحسّي لتحقّق مدلولات ذهنيّة تكمن في البأس والتبعيّة والنفوذ والتحكّم والسيطرة والإمرة.

2.2. الملكة اصطلاحا

تعني الملكة اصطلاحا منوالا يستنبط من جريان كلام العرب ومحفوظهم، وينسج عليه الإنسان في التعبير عن مقاصده. وتنشأ الملكة من السماع الذي يوضّح ابن خلدون طبيعته بقوله: "فالمتكلّم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربيّة

1 ابن خلدون، المقدّمة، ص 138.

موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفيّة تعبيرهم عن مقاصدهم"[1]. وليس السماع تكرارا آليّا بل إدراك أساليب الكلام في المخاطبات وكيفيّة التعبير عن المقاصد. وهو يتنوّع ويتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلّم إلى أن "يصير ملكة وصفة راسخة".

ويلتزم ابن خلدون بالتعريف ذاته في فصل آخر من المقدّمة في قوله: "والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل (اللسانيّ) وتكرّره مرّة بعد أخرى حتّى ترسخ صورته[2]؛ كما يلحّ على أنّ السماع ينبني على استعمال المفردات في معانيها والتراكيب في مقاصدها[3].

ويعتبر صاحب المقدّمة الملكات "صفات للنفس وألوانا. ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها"[4]، ونتبيّن من هذا الشاهد أنّ الإنسان يملك استعدادا يحصل به على الملكة ولمّا كانت صفة أو لونا فإنّها راسخة لأنّ الألوان لا تزول من الثياب إلّا بزوالها. والملكات صناعيّة مثل الخياطة والنجارة والبناء وفكريّة مثل ملكة علم من العلوم. وهي لا تحصل في منظور ابن خلدون دفعة بل بالتدريج، وإذا تلوّنت النفس وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد لقبول ملكة أخرى. فاستحكام الملكة الأولى في النفس يجعل الملكة الثانية لا تقدر على منازعتها.

ونخلص من معنيي الملكة لغة واصطلاحا إلى النتائج التالية:

1) تنزّل لفظ الملكة في المقدّمة في استعمالات تاريخيّة واكتسب نتيجة ذلك فوارق معنويّة تجعله يحافظ على معناه اللغويّ الأصليّ ويتجاوزه بتحويله من معاني القوّة والاحتواء إلى امتلاك القدرة على الاحتواء والسيطرة والإمرة.

2) يقوى مدلول الملكة ويضعف حسب طبيعة سياسة الملك ومنهج المالك

1 ابن خلدون، المقدّمة، ص 443.

2 المرجع السابق، ص 443.

3 المرجع السابق، ص 443. يقول في هذا السياق: "يسمع الصبيّ استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أوّلا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلم و استعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة".

4 المرجع السابق، ص 443.

في الحكم. فإذا ما انتهج الجور لتنقاد له الرعيّة فإنّ الملكة ترادف القهر والبطش والبأس. وإذا اتّسمت الملكة برفق الراعي أو مسايرته أمر الرعيّة حفاظا على العصبيّة فإنّها تحقّق معاني التبعيّة والنفوذ والتحكّم، ويخفّ ما يعلق بالملكة من شحنات البطش والبأس. وتقترن بالملكة أفعال ومعطوفات تسهم في الكشف عن معناها ودرجات قوّتها وضعفها.

3) تطوّر مدلول الملكة من المعنى الحسّي إلى المعنى الذهنيّ. فبعد أن كان فعل (ملك) يعلق بالعجين والماء أصبح يقترن بألفاظ الممالك والدول والأقوام ودلّ على الحكم وبسط النفوذ.

4) تمثّل مدلولات الملكة سلّما لدرجات الضعف والقوّة.

5) لا يختلف معنى الملكة الاصطلاحيّ عن معناه اللغويّ. فقد يوافق احتواء الشيء وهو ما أشار إليه ابن خلدون بسماع جريان كلام العرب وحفظ منظومهم ومنثورهم. أمّا القدرة على الاستبداد فقد ترتبط بما وُصفت به الملكة من استحكام وترسّخ وتمكّن يتجلّى في ملكة التصرّف. وإذا تبيّنا هذه المعاني في استعمالات الملكة لغة واصطلاحا فإنّنا نتساءل عنها في التسميات المركّبة تركيبا إضافيّا والمركّبة تركيبا نعتيّا. لذا يتحتّم أن ننظر في استعمالاتها لنستنبط من السياق ما يعلق بها من خصوصيّات.

3. تسميات الملكة المركّبة

نقف في مقدّمة ابن خلدون على ثمان وثلاثين تسمية للملكة مركّبةً تركيباً إضافيّا، وهذا ما يجعلنا نتساءل عمّا تُكسب الإضافة الملكة من خصوصيّات سواء جاءت مضافة أو مضافاً إليها، وهل تُستعمل الملكة مركّبةً تركيباً إضافيّا في معناها اللغويّ أم في معناها الاصطلاحيّ؟ ولماذا ينزع ابن خلدون واللغة العربيّة إلى توظيف المركّب الإضافيّ في استحداث تسميات جديدة لمفهوم الملكة؟

نحدّد للإجابة عن هذه الاستفهامات ، مفهوم الإضافة لنعلّل نزعة ابن خلدون إلى توليد التسميات الجديدة بتوظيف المركّب الإضافيّ، ثمّ نحاول أن نستقري الخصوصيات التركيبيّة والدلاليّة لمركّبات الملكة الإضافيّة.

1.3. حدّ الإضافة

تعمد اللغة العربيّة في استخدام تسميات المفاهيم الجديدة إلى الاشتقاق والنحت وتوليد الأسماء المركّبة. ويقتصر ابن خلدون في استحداث تسميات الملكة على المركّب النحويّ الذي يتفرّع إلى المركّبين الإضافيّ والنعتيّ. ولمّا كان المركّب الإضافيّ أكثر اطّراداً في مقدّمة ابن خلدون فإنّنا نبدأ بدراسته ثم ننظر في المركّب النعتيّ.

يعرّف ابن يعيش الإضافة بأنّها الإلصاق والاتّصال. يقال هذا مضاف إلى هذا، أي لاصق به ومتّصل ومنه يسمّى الضيف ضيفاً لأنّه ملصق بمضيفه ومتّصل به.ويتكوّن المركّب الإضافيّ من اسمين نزل ثانيهما منزلة التنوين ممّا قبله، واعتبر سيبويه أنّ الاسم المجرور مضاف إليه سواء أكان المضاف فعلاً متعدّياً بحرف جرّ أو اسماً، وإذا قلت مررت بزيد فإنّما أضفت المرور إلى زيد بالباء، فزيد ليس مفعولاً وإنّما مضاف إليه.

ويعتبر بعض النحاة مثل سيبويه[1] أنّ المضاف إليه يملك المضاف نحو قولهم في غلام زيد، يملك زيد الغلام وبذلك نتبيّن أنّ المضاف إليه يملك المضاف في مثل ملكة البلاغة أو ملكة البناء أو ملكة الخياطة أو ملكة الكتابة وبالتدقيق يملك الملكة وينصهر في مدلولها وإن لم يحدث ذلك فإنّ المضاف إليه يكون كلمة عامّة يكمن في البلاغة أو البناء أو الخياطة أو الكتابة، أمّا أن يُضاف إلى هذه الأسماء فإنّه يكسبها مفهوم الملكة.

ونستشفّ الاتّصال الوثيق بين المضاف الملكة والمضاف إليه.ويعبّر عن ذلك ابن يعيش[2] في قوله: الإضافة إيصال الاسم إلى الاسم من غير فصل وجعل الثاني من تمام الأوّل يتنزّل منزلة التنوين. وتنتج الإضافة عن هذا الاتّصال اللفظيّ والإعرابيّ؛ فالاتّصال اللفظيّ يمنع إدخال فواصل لفظيّة بين كلّ من المضاف والمضاف إليه، أمّا الاتّصال المعنويّ فيعرّف بمقتضاه المضاف إليه المضاف.

---

1 سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ج 3، ص ص 296 – 297 – 374 – 475.
ويسوق سيبويه أمثلة أخرى للأسماء المركّبة من مثل حضر موت وبعلبك ومعد يكرب وخمسة عشر وحيعل.

2 ابن يعيش، شرح المفصّل، ج 4، ص ص 111– 117– 124.

وتحقّق إضافة المضاف الملكة إلى عدد من الأسماء استقرار المفهوم الذي يكنّه المضاف لأنّ المضاف إليه قد يحذف من كثرة التداول على الألسنة. وقد أجاز سيبويه حذف المضاف إليه، ولكن الحذف جيّد جائز لكثرة استعماله إيّاه. ونلاحظ أنّ حذف المضاف إليه يحدث لبساً بين استعمال الملكة استعمالاً مفرداً وبين استعمالها استعمالاً مركّباً.

2.3. قائمة بأسماء الملكة المركّبة تركيبا إضافيّا

وردت تسميات الملكة في مقدّمة ابن خلدون أسماء مركّبة تركيبا إضافيّا سواء كانت الملكة في محلّ المضاف أو المضاف إليه. وجاءت أيضا أسماء مركّبة تركيبا نعتيّا. ونبدأ بالمركّبات الإضافيّة لاطّرادها. ونقتصرعلى ذكرها مشفوعة برقم صفحات ورودها، وكان الأجدى أن نسوقها في جدول ونقرنها بشاهد يسهم في توضيح استعمالها إلّا أنّنا، لضيق المجال، نسرد التسميات ونشفعها برقم صفحة ينزّلها في سياقها لا غير و هي:

ملكات الصنائع والآداب ص 480 – ملكة الآدميين ص 163 – ملكة الإتقان ص 574 – ملكات الاستخراج ص 601 – ملكات الاستنباطات ص 601 – ملكة الإسلام ص 164 – ملكة الانتقال ص 475 – ملكة الانقياد ص 510 – ملكة أهل العصبيّات ص 34 – ملكة الإيمان ص511 – ملكة البلاغة ص 640 – ملكة البلاغة في اللسان ص 622 – ملكة البناء ص 499 – الملكات في التعليم والصنائع ص 480 – ملكة التصرّف ص 479 – ملكة تفريغ القلب ص510 – ملكات في التنظير ص 601 ملكة الجود و الصواب ص 573 – ملكة الخياطة ص 449 – ملكة هذه الدولة ص 415 – ملكة الرجوع ص 640 – ملكة الصنائع ص 480 – ملكات تلك الصنائع ص 587 – ملكة الصواب ص 573 – ملكة الطاعة والانقياد وتفريغ القلب ص 510 – ملكة العبارة ص 624 – ملكة العرب ص 164 – ملكة علم – ملكة علم من العلوم ص 499– ملكة قطرهم ص 160– ملكة القهر ص 157 – ملكة القياس ص 601 – ملكة الكتابة ص 640 – ملكة الكلام ص 639 – ملكة الكلام العربيّ ص631 – ملكة اللسان ص 595 – ملكات اللسان صص 629 - 630 – ملكة في اللسان ص 613 – ملكات اللسان ص 630 – ملكات في اللسان ص 613 – ملكات اللسان الآخر ص 595 –

ملكة اللسان العربيّ ص 624 – ملكة اللسان المضري ص 619 – الملكة في لسان مضر ص 625 – ملكة في اللسان المضري ص ص 639 - 625 – ملكة من التعقّل ص 475 – ملكة المهاجرين والأنصار ص 238 – ملكة المتعلّم ص 443 – ملكة النجارة ص 449 – ملكة في النطق ص 639.

تتضمّن القائمة ثماني وثلاثين تسمية للملكة مركّبة تركيبا إضافيّا وذلك بإضافة الملكة إلى اسم من الأسماء. ونتبيّن من القائمة أنّ تسميات الملكة تتوزّع إلى ملكات الصنائع مثل ملكة البناء والخياطة والنجارة وملكات فكريّة مثل ملكة البلاغة وملكات الاستنباط أو القياس. ويعسر تصنيف هذه التسميات إلى صنفين فكريّ وصناعيّ لسببين، أمّا الأوّل فلأنّ بعض الملكات تتضمّن هاتين الخصوصيتين معا. فملكة الخطّ مثلا فكريّة لأنّها تربط المدلول بالدالّ وصناعيّة لأنّها تنبني على ممارسة يدويّة. أمّا السبب الثاني فلأنّ ابن خلدون يرى أنّ الملكة في الفكر أو الصناعة تضمر مكوّني القوّة والفعل أو تفعيل الفكر إلى فعل حقيقيّ. ومجالات الملكة حسب القائمة متعدّدة. فلمّا كانت تختصّ بالصنائع والفكر فإنّ التسميّات تتعدّد. وإذا كان ابن خلدون قد ذكر لنا ملكة الخياطة والبناء والنجارة فإنّ ملكة الحدادة والفلاحة والغناء والرسم والرياضة مثلا كامنة بالقوّة وقابلة للتحقّق. وتظّل قائمة التسميات مفتوحة ومتنامية بتنامي الفكر والصنائع مثلما يوضّحه ابن خلدون في قوله: "اعلم أنّ الصنائع في النوع الإنسانيّ كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران"[1]، فهي بحيث تشذّ عن الحصر ولا يأخذها العدّ إلاّ أنّ منها ما هو ضروريّ في العمران أو شريف بالموضع فنخصّها بالذكر ونترك ما سواها. فأمّا الضروريّ فالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة، وأمّا الشريفة بالموضع فكالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطبّ. ولمّا كانت الصنائع الضروريّة تشذّ عن الحصر فإنّ تسمياتها تتكاثر بإضافة ملكة إلى اسم من الأسماء أو إلحاق صفة بها، ممّا يجعل توليد مثل هذه التسميات أمرا لا متناهيا. وتتواتر في القائمة سبع عشرة تسمية مرّة واحدة ممّا قد يحملنا على التساؤل أهي تعكس إشارة عابرة لخصوصيّة الملكة أم أنّ المصطلحات العالقة بالملكة مازالت في المخاض ولم تثبت بَعدُ. إنّ الاحتمالين ممكنان، فالمصطلحات مازالت في مخاض بدليل ما نلاحظه من

1 ابن خلدون، المقدّمة، ص 449.

تقاطع بين التسميات المكوّنة من إلحاق الصفة بالموصوف أو المبنيّة على إضافة الملكة إلى مضاف إليه مثل:

المثال الأوّل:

تصاغ التسمية بإضافة الصفة إلى الموصوف مثل: الملكات الصناعيّة وملكة صناعيّة وتصاغ بإضافة الملكة إلى اسم مثل "ملكات الصنائع" أو "الملكات في الصنائع" أو "من الصنائع و ملكاتها".

المثال الثاني:

ترد الملكة تركيبا وصفيّا مثل (الملكة العلميّة) وتركيبا بالإضافة في "ملكة علم" أو "ملكة علم العلوم"

المثال الثالث:

يرد التركيب الوصفيّ(ملكة لسانيّة) و(الملكة اللسانيّة) تركيبا بالإضافة مثل "ملكة اللسان" أو "ملكة في اللسان" أو "ملكة اللسان العربيّ". أو "ملكة في اللسان العربيّ" أو "اللسان العربيّ وملكته" أو "ملكات اللسان" أو "ملكة في ألسنتهم".

ويكشف تعدّد تسميات المدلول الواحد في الأمثلة الثلاثة السابقة عن أنّ المصطلح لم يستقرّ بعد ممّا جعل ابن خلدون لا يلتزم بشكل من أشكال التعبير سواء بمركّب نعتيّ ﴿ملكة صناعيّة أو الملكات الصناعيّة﴾ أو مركّب بالإضافة ﴿ملكات الصنائع أو الملكات في الصنائع أو من الصنائع وملكاتها﴾. ويحصل مثل هذا التداخل بين التسميات الأكثر تواترا. ولمّا كانت كلّ التسميات تتضمّن مصطلح الملكة سواء دلّت على صناعة أو فكر فإنّها تشترك في ما تدلّ عليه الملكة من خصوصيّات.

3.3. قائمة بأسماء الملكة المركّبة تركيبا نعتيّا

نسوق تسميات الملكة المركّبة تركيبا نعتيّا ونشفعها برقم صفحة ينزّلها في سياقها لا غير وهي: ملكة أخرى ص ص 449 - 623 - 624 - 625 - 629 – الملكة الأولى ص 614 – الملكة التامّة ص ص 588 - 613 – الملكة التصوّفية الربّانيّة ص 640 –

الملكة الحاصلة ص ص 588 - 603 - 640 - ملكة راسخة – ملكته الراسخة ص ص 498 -511 - 532 - 623 – الملكة الشعريّة ص 640 – ملكة صناعيّة – الملكات الصناعيّة ص ص 613 - 480 - 630 – الملكة العلميّة ص 479 – الملكة الفقهيّة ص 640 ملكة قاصرة صص 479 - 588 – الملكة الكافلة ص 597 – ملكة لسانيّة – الملكة اللسانيّة – الملكات اللسانيّة ص ص 622 - 503 - 604 - 631 – ملكة متقرّرة ص 603 – الملكة المستقرّة ص 622 – الملكة المقصودة ص 624 – الملكة المنافية ص 625 – ملكة ممتزجة ص 618 – الملكة الناشئة ص 442 - 443 - 449 - 590 - 641 – الملكات الناشئة ص 442 – الملكات النافعة ص 589.

نتبيّن من خلال هذه القائمة أنّ تسميات الملكة تتعدّد لأنّها تصوّر تغيّراتها من النشأة إلى الاندثار شأنها شأن المدن والأمصار. ونتبيّن مراحل ثلاث لتغيّرات الملكة من منظور ابن خلدون للتاريخ. فالملكة مثل حياة الإنسان أو صورة الدولة أو المُلك تنشأ ثمّ تستحكم وتقوى ثم تهن وتخرب فتندثر. ولمّاكانت الملكة تتجذّر في اللغة فهي تنشأ بتحقّق التعامل اللغويّ. فإن كان صاحبها يربى بين جيله ويرتقي محفوظه فإنّ ملكته تجود ومن ثمّ تستحكم استحكام الدولة عند الاستقرار. ثمّ إنّ العجمة تستولي على اللسان بحكم الاختلاط مثلما حدث للسان مضر نتيجة الفتوحات واعتناق الفرس والروم الإسلام. وعندئذ تفسد الملكة وتصبح ممتزجة وقاصرة، وهي تمثّل مرحلة الوهن، وهن الدول عند الاندثار. وتستوجب هذه المراحل تسميات عدّة ممّا يبرّر تعدّدها.

ونلاحظ من القائمة أنّ الصفات تعلق بالملكة في كلّ التسميات ولا تستقلّ بذاتها. ولمّا كانت تشير إلى سمة من سمات الملكة فهي تشترك في ما تُضمره من خصوصيات عامّة. وتتفرّع الملكة إلى تفريعات ناتجة عن فوارق معنويّة تتفاوت في ما بينها. وتكاد سمات المرحلة الواحدة تطابق إحداها الأخرى مثل ﴿الراسخة﴾ و﴿المتقرّرة﴾ و﴿المستقرّة﴾، إلاّ أنّ تسميات كلّ مرحلة من مراحل تطوّر الملكة تبتعد عن الأخرى. فتسمية الراسخة مثلا تختلف عن القاصرة أو الممتزجة. ونوضّح في الخطاطة اللاحقة كيف تشترك تسميات الجدول السابق في استعمال الملكة وكيف تتفرّع عنها لتختلف جزئيّا في ما بينها. وهو ما يجعلنا لا نعتبرها تسميات مستقلّة استقلالا تامّا بل هي تسميات متفرّعة عن المصطلح المحور ﴿الملكة﴾.

خطاطة التسميات المتفرّعة عن الملكة والمحقّقة لمراحل تطوّرها

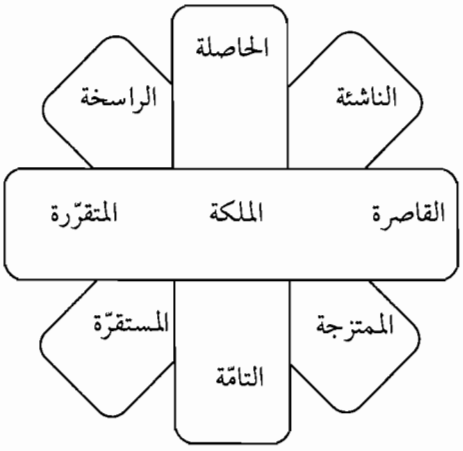

توضّح لنا الخطاطة كيف تعلق الصفات بالملكة، ومن ثمّ فهي لا تستقلّ عن بعضها استقلالا تامّا. وإذا كانت مرحلة النشأة تنفرد بتسمية واحدة فإنّ مرحلة الاستحكام تختصّ بتسميات عدّة إمّا لتفيد بعض الفويرقات المعنويّة من مثل ﴿المتقرّرة﴾ و﴿المستقرّة﴾ وإمّا لأنّها لم تستقرّ بعد ولم تصبح مصطلحا متعارفا عليه ومتداولا بين الباحثين.

ونتبيّن، ممّا سبق تحليله، أنّ اللغة العربيّة تنزع في وضع المصطلحات الجديدة إلى انتهاج التركيبين النحويين، المركّب الإضافيّ والمركّب النعتيّ. وليس لنا أن نجزم بهذا الحكم ومدوّنة بحثنا تقتصر على مقدّمة ابن خلدون فحسب، لذا سندعّم هذا الحكم بدراستين، الأولى عن الأسماء المركّبة في العربيّة، المعجم الوسيط نموذجا[1] (44)، و أمّا الدراسة الثانية فهي عن الاسم المركّب في الميدان العلميّ، المصطلح الطبّي نموذجا (45).

ضمّ المعجم الوسيط 721 اسما مركّبا ما بين مركّبات إضافيّة ونعتيّة ومزجيّة وإسناديّة. ويتوزّع تواترها على النحو التالي:

1 الشكيلي، (هاجر)، (2001)، الأسماء المركّبة في العربيّة، المعجم الوسيط نموذجا، جامعة قرطاج، المعهد العالي للغات بتونس، 101 ص.

نوع المركّب	العدد الجمليّ	النسبة إلى المجموع
المركّب الإضافيّ	445	٪61,71
المركّب النعتيّ	272	٪37,75
المركّب المزجيّ	2	٪0,28
المركّب الإسناديّ	1	٪0,13
المركّب شبه الإسناديّ	1	٪0,13

نتبيّن من هذا الجدول أنّ المركّب الإضافيّ تواتر في المعجم الوسيط أكثر من المركّبات الأخرى ولاسيّما المركّب النعتيّ. ويظهر المركّب الإضافيّ في 445 اسم مركّب[1]، وبذلك يمثّل 61,71٪ من مجموع الأسماء المركّبة. وتتفرّع هذه المركّبات الإضافيّة إلى نوعين، الأوّل منها يكون فيها كلّ من المضاف والمضاف إليه لفظا مفردا. وأمّا النوع الثاني فيكون المضاف إليه مركّبا اسميّا بدوره. وقد وردت على هذا النحو 7 أسماء المضاف إليه مركّب اسميّ. وأمّا المركّب الإضافيّ البسيط فقد شمل 438 اسما مركّبا؛ وتماثل هذه النتيجة ما وقفنا عليه في المركّبات الإضافيّة في مقدّمة ابن خلدون. فهي تغلّب المركّب الإضافيّ البسيط على المركّب الإضافيّ المركّب. و تثبت دراسة الأسماء المركّبة في المعجم الوسيط أنّ المركّب الإضافيّ يتواتر أكثر من المركّبات الأخرى و لا سيّما المركّب النعتيّ. وتكشف نسبتا تواتر هذين المركّبين مثل هذا التفاوت. فتواتر المركّب الإضافيّ بلغ 61,71٪ في حين أنّ المركّب النعتيّ لم يتجاوز 37,75٪. و تؤكّد لنا نتائج إحصاء الأسماء المركّبة في المعجم الوسيط ما كنّا لاحظناه في مقدّمة ابن خلدون من أنّ اللغة العربيّة تنزع إلى توظيف المركّب الإضافيّ وبالذات المركّب الإضافيّ البسيط المكوّن من إلصاق مفردة بمفردة.

ونسعى إلى التأكّد من نزعة اللغة العربيّة إلى توظيف المركّب الإضافيّ في وضع المصطلحات الجديدة و ذلك بالنظر إلى دراسة عن الأسماء المركّبة في الجزء الأوّل

1 شورو، (فريدة)، (2000)، الاسم المركّب في الميدان العلميّ، المصطلح الطبّي نموذجا، 142 ص، جامعة قرطاج، المعهد العالي للغات بتونس.

من كتاب الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية لابن البيطار[1]. ونقف في هذا الكتاب على 174 مصطلحا مركّبا تركيبا إضافيّا مقابل 65 مصطلحا مركّبا تركيبا نعتيّا. وجاءت المركّبات الإضافيّة بسيطة في 169 مصطلحا وذلك بنسبة 97٪ من مجموع عدد المصطلحات الإضافيّة. ولم تتجاوز المركّبات الإضافيّة المركّبة الخمس مصطلحات وذلك بنسبة 3٪ من مجموع عدد المصطلحات المركّبة تركيبا إضافيّا. وتنحو المركّبات النعتيّة المنهج ذاته. فالمركّبات النعتيّة بسيطة في معظمها ولم تتعدّ المركّبات النعتيّة المركّبة المصطلحين.

نخلص من جديد إلى أنّ المركّبات النحويّة توظّف في وضع المصطلحات العلميّة في مقدّمة ابن خلدون وفي الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار. ونتبيّن أنّ اللغة العربيّة تلجأ في استحداث المصطلحات العلميّة إلى المركّب الإضافيّ في الدرجة الأولى ثمّ إلى المركّب النعتيّ في الدرجة الثانية.

ولا تخرج الثلاث مئة صفحة من معجم المصطلحات العلميّة والتقنيّة (ملحق ابن منظور) عن منحى توظيف المركّبات النحويّة و لا سيّما المركّب الإضافيّ. وقد اشتمل هذا الجزء على 68 مصطلحا ضمّت 60 مصطلحا مركّبا و8 مصطلحات في شكل مفردات. وغلبت على المصطلحات المركّبة المركّبات الإضافيّة. فهي تعدّ 42 مركّبا إضافيّا وبنسبة 70٪ من مجموع المصطلحات المركّبة. أمّا المركّبات النعتيّة فلا تعدّ إلّا 16 مركّبا و ذلك بنسبة 27 ٪ من مجموع المصطلحات المركّبة. وهي تمثّل أقلّ من نصف المركّبات الإضافيّة .

والحاصل أنّنا نتأكّد، اعتمادا، على مقدّمة ابن خلدون وكتاب الجامع لمفردات الأدويّة والأغذيّة لابن البيطار والثلاث مئة صفحة من معجم المصطلحات العلميّة والتقنيّة (ملحق ابن منظور) أنّ اللغة العربيّة توظّف المركّبات النحويّة في استحداث المصطلحات الجديدة وبالذات المركّب الإضافيّ في الدرجة الأولى والمركّب النعتيّ في الدرجة الثانية. و إن تأكّدت هذه النتيجة في ثلاث مدوّنات فإنّ مدوّنة المعجم الطبّي الموحّد[2] تخرج عنها وتغلّب المركّبات النعتيّة على المركّبات

1 ابن البيطار (أبو محمّد، عبد الله بن أحمد)، الجامع في مفردات الأدوية، الترجمة الفرنسيّة مثبتة في قائمة المراجع.

2 شورو، (فريدة)، (2000)، الاسم المركّب في الميدان العلميّ، المصطلح الطبّي نموذجا 142 ص وهذا المعجم ثلاثي اللغة (انجليزي – عربيّ – فرنسيّ) وقد أصدره اتّحاد الأطبّاء العرب. وظهر

الإضافيّة. وتحتوي هذه المدوّنة على 4879 مصطلحا مركّبا منها 1323 مركّبا تركيبا إضافيّا. وهي تتوزّع على نحو: 1195 مركّبا إضافيّا بسيطا، يرد كلّ من المضاف والمضاف إليه فيها مفردة. وتمثّل المركّبات الإضافيّة البسيطة نسبة 90 ٪ من مجموع المركّبات الإضافيّة. وقد وقفنا على هذه الظاهرة بالذات في مقدّمة ابن خلدون. فتسميات الملكة المركّبة تركيبا إضافيّا بسيطا كانت هي الأغلب. ويبيّن الجدول التالي عدد المركّبات الإضافيّة و نسبها في المعجم الطبّي الموحّد:

النوع	المثال	العدد الجمليّ	النسبة
المركّبات الإضافيّة		1323	٪28
المركّبات الإضافيّة البسيطة	جسر الأنف	1195	٪90
المركّبات الإضافيّة المركّبة	علم طبقات الأرض	128	٪10

وتشتمل مدوّنة المعجم الطبّي الموحّد على 2442 مركّبا نعتيّا، ويمثّل هذا العدد 50 ٪ من مجموع كلّ المركّبات وهي تتوزّع على النحو التالي:

النوع	المثال	العدد الجملي	النسبة
المركّبات النعتيّة		2442	٪50
المركّبات النعتيّة البسيطة	الشريان الوتدي	1712	٪70
المركّبات النعتيّة المركّبة	الشريان القوسي القدمي	730	٪30

وتتكوّن المركّبات النعتيّة البسيطة من (مفردة + مفردة)، أمّا المركّبات النعتيّة المركّبة فيكون فيها المنعوت مفردة ، ويكون النعت مركّبا، وهي تصنّف إلى خمسة أصناف:

1) المنعوت: مفردة النعت: مركّب إضافيّ

2) - - - - - - - - - - - - - - - : مركّب شبه إسناديّ

3) - - - - - مركّب إضافيّ - - - - : مفردة

في أربع طبعات، صدرت الطبعة الأولى في سنة (1973) وصدرت الطبعة الثانية في سنة (1978) وصدرت الطبعة الثالثة في سنة (1983) أمّا الطبعة الرابعة فقد صدرت في سنة (1984).

4) - - - - - مركّب نعتيّ - - - - : مفردة

5) - - - - محذوف و يُحتفظ بالنعت

ونعلّل غلبة المركّبات النعتيّة بأنّ وظيفة النعت تخصيصيّة، وهو ما يلائم نزعة المصطلحات الطبّية إلى الوصف.

والحاصل إنّ العربيّة تراوح بين المركّبين الإضافيّ والنعتيّ في استحداث المصطلحات للمفاهيم الجديدة. وتبيّنا نزعة اللغة العربيّة إلى توظيف المركّب الإضافيّ في ثلاث مدوّنات هي مقدّمة ابن خلدون والمعجم الوسيط وكتاب الجامع لمفردات الأدويّة لابن البيطار والثلاث مئة صفحة من معجم المصطلحات العلميّة والتقنيّة (ملحق ابن منظور) مقابل تغليب المركّب النعتيّ في المعجم الطبّي الموحّد لاتّحاد الأطبّاء العرب. ويقتضي الجزم في هذه المسألة النظر في نصوص المدوّنات الحاسوبيّة التي تضمّ مئات الملايين من المفردات من مثل مدوّنة مدينة الملك عبد العزيز العلميّة ومدوّنة الطفل السعوديّ ومكنز صخر ومكتبة الإسكندريّة[1].

ويمكننا أن نستنبط نزعة اللغة العربيّة إلى توظيف المركّب الإضافيّ في استحداث المصطلحات للمفاهيم الجديدة من طبيعة العلاقة بين كلّ من المضاف والمضاف إليه أو من العلاقة بين المنعوت والنعت. فالعلاقة بين عنصري المركّب النعتيّ تنبني على شكل محدَّد + محدِّد، في حين أنّ ترتيب عناصر المركّب الإضافيّ يخضع إلى تفريعين، أوّلهما إلصاق المحدَّد بالمحدِّد وثانيهما إلصاق المحدِّد بالمحدَّد. وقد يمكّن هذان النوعان من العلاقة بين المضاف والمضاف إليه من استحداث العديد من المصطلحات للمفاهيم العلميّة أكثر من أن تنجم عن علاقة واحدة تتمثّل في شكل المحدَّد + المحدِّد.

1 انظر الكشو رضا: توظيف لسانيّات المدوّنات وتنميط النصوص في إعداد البرمجيّات الذاتيّة العربيّة؛ بحث قُدّم في المؤتمر الدولي: اللغة العربيّة والدراسات البينيّة الآفاق المعرفيّة والرهانات المجتمعيّة، في 9 – 10 / 7 / 1436 الموافق لـ 28 – 29 / 4 / 2015. ونُشر في مجلّد: "اللغة العربيّة والدراسات البينيّة، الآفاق المعرفيّة والرهانات المجتمعيّة، المجلّد الأوّل 1439 هـ / 2018 م، الرياض، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، مركز دراسات اللغة العربيّة وآدابها، المجلّد الأوّل ص ص 55-98.
انظر: صالح، (محمود اسماعيل)، (2013)، لسانيّا ت المدوّنات اللغويّة، مقدّمة للقارئ العربي ص 4. الكشو (رضا)، (2015)، توظيف اللسانيّات في تعليم اللغات، مكّة المكرّمة نشر مجمع اللغة العربيّة على الشبكة العالميّة الفصل الخامس لسانيّات المدوّنات ص ص257 – 295.

والعلاقة بين المضاف والمضاف إليه مرنة، فإلصاق اسم باسم لا تحكمه قيود عدّة، في حين أنّ العلاقة بين المنعوت والنعت مقيّدة بالمطابقة التامّة في العدد والجنس والتذكير والتأنيث وعلامات الإعراب. وهي مقيّدة أيضا بالاشتراك في بعض الخصوصيّات ليحدّد النعت المنعوت. وبذلك قد يكون توليد المركّبات النعتيّة أكثر شدّة من توليد المركّبات الإضافيّة وهذا ما يعلّل نزعة اللغة العربيّة إلى توظيف المركّبات الإضافيّة مقارنة باللجوء إلى توظيف المركّبات النعتيّة.

ونخلص إلى أنّ الألفاظ المفردة لاتستوعب جميع المفاهيم أو الفويرقات المعنويّة المستحدثة، لذلك تلجأ اللغة العربيّة إلى المركّبات النحويّة سواء بإلصاق اسم باسم آخر أو بوصف النعت المنعوت.

وإذا نظرنا في ما يعلق بالملكة من أفعال أو مشتقّات فإنّنا نتبيّن أنّ صفات الخطاطة السابقة الذكر مشتقّة من جذر هذه الأفعال أو المشتقّات. وتطرح هذه الظاهرة إشكاليّة تعدّد تسميات الملكة من جديد لأنّها تضخّم بدورها عدد التسميات ولأنّ الفرق ليس فرقا جذريّا بين ﴿رسخت الملكة﴾[1] وبين ﴿الملكة الراسخة﴾ أو ﴿حصلت الملكة﴾ و﴿الملكة الحاصلة﴾ وبين و﴿قصرت الملكة﴾[2] و﴿ملكة قاصرة﴾ باستثناء الفرق بين ما يوحي به الفعل من حركيّة وما

1 نورد شواهد على ما علق بالملكة من فعل ﴿رسخ﴾ الذي يطابق جذر الصفة ﴿راسخة﴾:
- ص443 - والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرّره مرّة بعد أخرى حتى ترسخ صورته.
- ص622 - فانّ الملكات إذا استقرّت ورسخت في محلّها ظهرت كأنها طبيعيّة وجبلّة لذلك المحلّ.
- ص623 - واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان.
- ص635 - ثمّ بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسخ على المنوال يقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ.

2 نسوق بعض الشواهد التي استعمل فيها ابن خلدون الفعل ﴿قصر﴾ بدل الصفة ﴿القاصرة﴾ في الملكة القاصرة. ونؤكد بذلك تعدّد أشكال التعبير عن المفهوم الواحد.
- ص480 - فلمّا امتلأ الحضريّ من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ظنّ كلّ من قصّر عن تلك الملكات إنّما لكمال في عقله.
- ص588 - فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تمّ على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة ... و إذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلّته.

تحقّقه الصفة من ديمومة وثبوت.

وإذا كانت الفروق في تقييد فعل الملكة في زمن من الأزمنة فانّ الصفة تكسبها ديمومة وسمة الإطلاق. ويرفع المضمون المعجميّ المتطابق في عدد تسميات الملكة ويجعلنا نعتقد أنّ خصوصيّات الملكة لم يصطلح عليها بعد ممّا دفع ابن خلدون إلى عدم التقيّد بمصطلح محدّد سواء بإلحاق صفة أو مشتقّات بالملكة أو إضافة الملكة إلى اسم من الأسماء أو أن تعلق الملكة بأفعال أومشتقّات من جذر الصفات التي ألحقت بالملكة .

ونتبيّن من جرد تسميات الملكة في القائمة السابقة أنّ بعضها يتّسم بالعموميّة ويذكر مرّة واحدة[1] وهي "ملكة أخرى" و"الملكة الخاصّة" و"ملكة من التعقّل" و"الملكة المقصودة" و"الملكة المنافية" و"الملكة الكافلة" و"الملكة النافعة". ونستدّل على عموميّة هذه التسميات بالنظر في معناها اللغويّ ومعنى استعمالها في المقدّمة. ولئن كانت العلاقة بين الدالّ والمدلول اعتباطيّة إلاّ أنّ قلّة تواتر هذه التسميّات لم يرسّخها ويكسبها مدلولا اصطلاحيّا ، ويلحقها بحقل دلاليّ تختصّ به الملكة. وما يجعلنا نعتبر هذه التسميات عامّة أنّ الصفة الملحقة بالملكة تقبل الاقتران بما لا نهاية له من الأسماء. فالصفة ﴿المطلوبة﴾ تعلق بأسماء عدّة[2] ولا تضمر سمة تختصّ بها الملكة. وسمة التعميم في مصطلحات حقل دلاليّ شائعة في العربيّة سواء في الأفعال أو الأسماء. وقد تبيّنا في بحث ميدانيّ عن لغة البنّائين[3] أنّهم يستعملون أفعالا استعمالا عامّا مثل فعل ﴿يركّب﴾ للتعبير عن مفاهيم عدّة من ضرب ﴿يركّب الكرلاج بمعنى يبني الجليز﴾ و﴿يركّب الفّيانس﴾ بمعنى يبني نوعا من الجليز اللامع على الجدران و﴿يركّب المشمّعات﴾ بمعنى يضع سقفا وأعمدة من الخشب ليوضع فوقها الإسمنت المسلّح و﴿يركّب الصقالة﴾ بمعنى

– ص625 – وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العجمة وأبعد عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلّم اللغة المضريّة و حصول ملكتها.

1 ما عدا تسمية ملكة أخرى فإنّها تتواتر ستّ مرّات.

2 نسوق الأمثلة على اقتران ﴿المطلوبة﴾ بأسماء عدّة من ضرب السيّارة المطلوبة والشقّة المطلوبة والفاكهة المطلوبة و الرقابة المطلوبة.

3 أعددنا هذا البحث لنيل شهادة الكفاءة في البحث بعنوان: معجم البناء في تونس، دراسة إحصائيّة تواتريّة بمقارنة المقول والمكتوب، كلّية الآداب في تونس، ﴿9 أفريل سابقا﴾، 1973، مرقون، انظر قسم الأفعال.

يضع أعمدة أفقيّة وعموديّة ليعتليها البنّاء عند العمل و﴿يركّب القفل﴾. وتتأتّى العموميّة من عدم اصطلاح البنّاء على تقنيّة معيّنة من البناء أو ربّما لجهل الفعل الذي اصطلح عليه البنّاؤون وهو ﴿يزَلِّج﴾ ولعلّه استحدث لترجمة فعل ﴿Carreler بمعنى بنى الجليز﴾ بعد أن شاع الفعل العامّ ﴿يركّب﴾.

وَتختَصّ كلّ تقنيّة بفعل محدّد إلاّ أنّ البنّاء يقرن جميعها بفعل عامّ إمّا لأنّه ينزع إلى المجهود الأدنى أو لأنّه لم يدرك بعد مفاهيم هذه التقنيات. وتتّسم بعض الأفعال في العربيّة المنطوقة والعربيّة الفصيحة بهذا التعميم من مثل فعل ﴿يَعمِل﴾ الذي يقترن بأسماء عدّة تنتمي إلى حقول دلاليّة مختلفة فنقول ﴿يَعمِل حفلة﴾ و﴿يَعمِل تحويسة بمعنى جولة﴾ و﴿يَعمِل عركة بمعنى خصومة﴾ و﴿يعمِل هرجه بمعنى يهرّج﴾. وقد استعمل الفعل ﴿يعمل﴾ استعمالا عامّا وحلّ محلّ أفعال ﴿يحتفل﴾ و﴿يتجوّل﴾ و﴿يختصم﴾ و﴿يهرّج﴾. ويوافق الفعل العامّ (يعمل) الفعل الفرنسيّ (faire) الذي يستعمل بدوره استعمالا عامّا في سياقات عدّة من مثل faire un repas أعدّ طعاما faire une promenade قام بجولة faire une querelle قام بخصومة faire du sport مارس الرياضة. ويقرن الفرنسيون أفعال (mettre) بمعنى (وضع) وفعل (faire) بمعنى (فعل) وفعل (prendre) بمعنى أخذ بأسماء عدّة. وهي ما يصطلح عليها بأفعال العماد (verbes supports) من ضرب ﴿قام بزيارة المتحف﴾ بدل ﴿زار المتحف﴾[1] ويقع الحمل في الجملة الأولى على زيارة بدل أن يؤدّيه الفعل ﴿قام﴾ أو ﴿زار﴾ في الجملة الثانية.

ولا تقتصر سمة التعميم على تسميات الملكة أو تسميات البنّائين و إنّما يعمد إليها الطلبة في المرحلة الأولى من تعلّم اللغة الهدف. فيستعمل الفرنسيّ مثلا في أسواق المدينة العتيقة لفظ ﴿truc بمعنى شيء﴾ للدلالة على مسمّيات عدّة مستعينا بالإشارة كأنْ يقول: بكم هذا؟ (مشيرا إلى سجّاد أو صنائع تقليديّة) وهو ما يقابل (?A combien ce truc بمعنى بكم هذا الشيء) وقد يعمد البنّاء ومتعلّم اللغة الأجنبيّة والسائح إلى استعمال أفعال عامّة لأنّ

1 نستعمل فعل {قام} في معنى نهض في قولنا ﴿قام الولد من فراشه﴾ وفي معنى ﴿خرج على﴾ قولنا ﴿قام على السلطان﴾ ونستعمل ﴿قام﴾ فعل عماد في الأمثلة التالية: -قام بحفلة ﴿احتفل﴾ -قام باستقبال الوفد ﴿استقبل الوفد﴾ -قام بدور تمثيلي ﴿مثّل دورا﴾ -قام بكل الإجراءات ﴿أجرى﴾. قام بدراسة الموضوع ﴿درس الموضوع﴾.

المصطلح لم يعرف أو لم يدرك أو لم يستقرّ بعد.

ونعتقد أنّ ابن خلدون عمد إلى التعميم في استعمال الملكة مثله مثل البنّائين ومتعلّمي اللغة. فتسمية الملكة لم تتبلور ولم تستقرّ بعد. ونستعرض هذه التسميّات العامّة مرتّبة ترتيبا ألفبائيّا لأنّها تكاد تتساوى في التواتر.

1.3.3. ملكة أخرى[1]

لا يختصّ لفظ ﴿أخرى﴾ بالملكة إنّما يقترن بألفاظ عدّة. ولا يدلّ حرفيّا إلاّ على مخالفة شيء آخر في أمر ما.وتدلّ (ملكة أخرى﴾ على ملكة لسان الفرس أو الرّوم في حدّ ذاته. ويعتبر ابن خلدون أنّ ملكة اللسان العربيّ إذا سبقتها ملكة أخرى بمعنى ملكة اللسان الفارسيّ مثلا "في المحلّ فلا تحصل إلاّ ناقصة مخدوشة"[2] ويستعمل ابن خلدون في موضع آخر من المقدّمة عبارة ﴿ملكة أخرى﴾ وهي ما ترسّخ في المتعلّم الأعجميّ من لغة فارسيّة أو روميّة مثلا. وتعني ﴿ملكة أخرى﴾ لغة الحضر وقد خالطت العجمة فيها اللسان العربيّ.

2.3.3. الملكة الخاصّة[3]

التسمية الكاملة هي الملكة الخاصّةبهم.ويحيل الضمير على العجم في عهد ابن خلدون. وتعني هذه التسمية ما حصل عليه العجم من لسان عربيّ في الأمصار وقد لحقته العجمة. ومن ثمّ فهو يخالف لغة مضر. ويتّسم لفظ (الخاصّة بهم) بالعموميّة، فهو لا يشير إلى مجال من مجالات استعمال الملكة ولا يضبط خاصّية من خصوصياتها. ويستبدل في مواطن أخرى من المقدّمة بلفظ (مخصوصة) في قول ابن خلدون: "وصار أهل الأمصار كلّهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف أيضا بعضهم بعضا.

---

1 وردت "ملكة أخرى" في المقدّمة في البابين الخامس والسادس وبتواتر ستّ مرّات وفي الصفحات 449 و623 و624 و625 و629 وجاءت في قول ابن خلدون: "تلوّنت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة".

2 مقدّمة ابن خلدون ص 624 وص 618.

3 وردت "الملكة الخاصّة" في الباب السادس الفصل الثاني والأربعين وفي الصفحة 624. وجاء في قول ابن خلدون "ويوجد ملكتهم الخاصّة بهم مخالفة لملكة اللسان العربيّ". وفي قوله أيضا "يجد الأعجميّ ملكته الخاصّة به تغاير ملكة اللّسان العربيّ ومن ثمّ فهي ملكة أخرى".

3.3.3. الملكة المطلوبة

تعني في المقدّمة ملكة اللسان العربيّ وبالتدقيق لغة مضر. وتقترن صفة (المطلوبة) بأسماء عدّة[1] تجعلها تستعمل استعمالا عامّا. وتجعلها توافق تسمية الملكة المقصودة بدليل قول ابن خلدون: "والسبب في ذلك ما يسبق إلى المتعلّم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق إليه من اللسان الحضريّ الذي أفادته العُجمة حتّى نزل بها اللسان عن ملكته الأولى إلى ملكة أخرى هي لغة الحضر لهذا العهد"[2]. ونفهم من (ملكته الأولى) لغة مضر التى تعدّ في هذا السياق الملكة المطلوبة. ونتأكّد من أنّ ابن خلدون يقصد "بالملكة المطلوبة" لغة مضر من ربطه بين الذوق الذي يحصل لأحد ما بأخذ الملكة عن الجيل الأوّل من العرب حتّى يصير "كواحد منهم" وبين "الأعاجم الداخلين في اللسان العربيّ الطارئين عليه المضطرّين إلى النطق به لمخالطة أهله"[3]. فهؤلاء الأعاجم تحصل لهم ملكة أخرى غير ملكة "اللسان المطلوبة" بمعنى غير لغة مضر التي تكسب صاحبها الذوق. وإذا كان الذوق ينشأ عن لغة مضر ويشار إليه بملكة اللسان المطلوبة فإنّ ملكة اللسان المطلوبة تعني إذًا لغة مضر.

4.3.3. الملكة المقصودة

تعني الملكة المقصودة ملكة اللسان العربيّ أو ملكة لسان مضر، ونفهم ذلك من قول ابن خلدون "(واليوم) الواحد من العجم إذا خالط أهل اللسان العربيّ بالأمصار فأوّل ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربيّ ممتحية الآثار"[4] ونفهم الملكة المقصودة بالخلف في قول ابن خلدون "ويجد [الواحد من العجم] الملكة الخاصّة [به] ملكة أخرى مخالفة لملكة اللسان العربيّ". فالملكة الخاصّة بالعجم والمتداولة بينهم مغايرة لملكة لسان مضر.

ويتّضح مقصد ابن خلدون من الملكة المذكورة في حديثه عن سيبويه والفارسيّ والزمخشريّ وأمثالهم من فرسان الكلام ، فهؤلاء كانوا من العجم إلاّ أنّهم حصلوا

1 نقول الأوراق المطلوبة، والبضاعة المطلوبة، والأغاني المطلوبة من المستمعين.
2 المقدّمة ص 623.
3 نفسه: ص 624.
4 نفسه: ص 625.

على لغة مضر و"أدركوا اللغة في شبابها. ولم تذهب آثار الملكة ولا من أهل الأمصار. ثمّ عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتىّ استولوا على غايته"[1]. وإذا كان فرسان الكلام قد حصلوا على ملكة لسان مضر التي تذهب آثارها من الأمصار فإنّ الواحد من العجم يجد في عهد ابن خلدون هذه الملكة من اللسانين العربيّ ممتحية الآثار.

5.3.3. الملكة المنافية

حصل المتعلّم على ملكة اللسان الحضريّ الذي امتزجت فيه العُجمة باللّسان العربيّ، فأصبح بذلك منافيا أو لنقل مغايرا لما ينشده المتعّلم من اكتساب ملكة لغة مضر التي عبّر عنها ابن خلدون بالملكة المطلوبة. وإذا كانت لغة الأمصار منافية بمعنى مغايرة للسان العربيّ وكان الأعجميّ متمكّنا من العجمة فإنّ حصول اللسان العربيّ عسير. وارتبطت "الملكة المنافية بالملكة المطلوبة" في قول ابن خلدون "والسبب في ذلك ما سبق إلى المتعلّم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق إليه من اللسان الحضريّ الذي أفادته العجمة حتى نزل بها للسان عن ملكته الأولى إلى ملكة أخرى هي لغة الحضر لهذا العهد"[2]. ونتبيّن أنّ صفة "منافية" لا تسم الملكة بخصوصية من خصوصياتها بل تشير إلى اختلاف ملكة الأمصار عن ملكة اللسان العربيّ.

وكان بالإمكان أن يستعمل ابن خلدون فعل "تتنافى" بدل اسم الفاعل "منافية" في "ملكة منافية"، وما يدعّم هذا المنحى أنّ صاحب المقدّمة استعمل منافاة للتعبير عن معنى"منافية" ذاته في القول: "وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العجمة وأبعد عن لسان مضر قصّر بصاحبه عن تعلّم اللغة المضريّة وحصول ملكتها لتمكّن المنافاة حينئذ[3]". ويستعمل ابن خلدون لفظ "منافية" استعمالا عامّا في قوله: "ولم يلبثوا ﴿أهل الأندلس﴾ إلى أن انقرضوا... وانقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدوة لها وصعوبتها عليهم بعِوَجِ ألسنتهم ورسوخهم في العجمة البربريّة".

1 المقدّمة، ص 625.
2 نفسه: ص 475.
3 نفسه: ص 589.

6.3.3. ملكة من التعقّل

تحصل "الملكة من التعقّل" في الانتقال من الأدلّة إلى المدلولات في ملكة الكتابة. وهو بتعبير ابن خلدون معنى النظر العقليّ الذي يُكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التعقّل ويفيد كلّ علم عقلا وتفيد التجربة عقلا. وتفيد الحضارة عقلاً لأنّها تنبني على الصنائع والشرع وتحصيل الآداب ومعاشرة أبناء الجنس، وهذه كلّها قوانين تنظّم علوما فيحصل منها زيادة عقل.

7.3.3. الملكة النافعة

جاء معنى النفع في التعبير عن لجوء المتأخّرين إلى المختصرات للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وابن مالك في النحو والخونجي في المنطق. فهم يقطعون على المتعلّمين تحصيل الملكات النافعة التي تحصل من الموضوعات المطوّلة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار و الإحالة.

والحاصل أنّنا وقفنا في ما سبق على سبع تسميات للملكة استدللنا على عموميتها من اقترانها بأسماء عدّة أومن عدم دلالتها على مجال من مجالات الملكة أو خصوصيّة من خصوصيّاتها. وهي تمثّل نسبة 20 ٪ من مجموع التسميات ممّا يؤكّد أنّ نسبة هامّة لما يعلق بالملكة من مصطلحات لم يستقرّ بعد ولم يكتسب صيغته النهائيّة. وقد وقفنا على هذه الظاهرة في دراسة ميدانيّة عن مصطلحات البناء في تونس. وتبيّنا على مستوى الأفعال أنّ اثني عشر فعلا وبنسبة 21,18 ٪ اختصّت بالبناء من مجموع خمسة وخمسين فعلا جاءت أفعالا عامّة[1] وإن عثرنا، في مدوّنة البحث، على تسميّات عامّة

---

1 يختصّ اثنا عشر فعلا بالبناء. وهي يبيّض و﴿يبلاكو﴾ و﴿تزلّز﴾ و﴿نسكفو﴾ و﴿يستويها﴾ و﴿يشمّع البني﴾ و﴿يليّق﴾ و﴿نكفرج﴾ ويبني واختصّت جلّ هذه الأفعال بالبناء لأنّها ترجمت حرفيّا مدلول أفعال أجنبيّة تختصّ بالبناء.

يبيّض –badigeonner تزلّج carreler /bloquer يليّق revêtir يكفرج coffrer

والأمثلة على توظيف الأفعال العامّة في التعبير عن تقنيات البناء عديدة منها: يستعمل فعل (يرمي الكرلاج) استعمالا اصطلاحيّا ويعني (يزلّج). ونستعمل أيضا (يرمي الخبز) بمعنى ينضجه الخبّاز في تنّور المخبزة. ويستعمل الفعل (يرمي) استعمالا عامّا من ضرب (يرمي الأوراق على المكتب). ويستعمل الفعل (يفرش الكارلاج) استعمالا اصطلاحيّا بمعنى يبنيه على أرضيّة ما. ويستعمل أيضا استعمالا عامّا من ضرب (يفرش لكوارط) أو (يفرش الفرش). ويستعمل الفعل (يحلّ الحديد بالطريّ) استعمالا اصطلاحيّا في معنى يمدّد ويقوّم. وفي معنى يحدث حسابا بنكيّا بقولنا (يحلّ حساب). وفي المقابل يستعمل هذا الفعل في معنى

للملكة فإنّ تسميّات أخرى ترتبط ارتباطا معنويّا قد يكشف عن درجات الملكة.

4. درجات الملكة

يمكن أن نرتّب درجات الملكة في المقدّمة فنجعل منها ملكة أولى وملكة ثانية ونتبعها بالملكة اللسانيّة وملكة البلاغة ثمّ الذوق، فما الذي قصد ابن خلدون من ترتيبها؟ هل سعى من وراء ذلك الى ضبط سلّم لدرجات الملكة أم أنّه عرض مراحل اكتسابها؟

1.4. الملكة الأولى[1]

يعني بها ابن خلدون أن تُأخَذَ اللغة عن أصحابها لا عن غيرهم. ويسمّيها الطبع إلاّ أنّه يرفض فهم المغفّلين الذين يرون أنّ الملكة تحدث لأصحابها بشكل عفويّ، وهي جبلّة فيهم يولدون بها. فالملكة، في رأيه، لا تتحقّق ولو للعرب إلاّ بالسماع والتكرار والممارسة والمداومة.

ويعتبر ابن خلدون أنَّ للملكةِ محلاّ ترسخ فيه وتستقرّ. وإذا حلّت به ملكة للسان آخر فإنّها تقصّر عن الأولى. ويستقي دليله ممّا لاحظه. فمن حصل على شيء من العُجمةِ يكون قاصرا في اللسان العربيّ ولو تعلّمه وعلّمه[2]. وإذا سبق للمستعرب أن حصلت له ملكة أولى في لغته فإنّ ملكة اللسان العربيّ تكون ناقصة

يفتح (يحلّ الباب) أو يبدأ الحديث ويطيل فيه بقولنا (يحلّ هدرة بمعنى محادثة مطوّلة).

1 وردت تسمية الملكة الأولى في المقدّمة في الصفحات 614 و618 و625 في قول ابن خلدون: وهذا هو ما تقوله العامّة من أنّ اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم.

2 قلّ حسب ابن خلدون أن يحكم أحد ملكة اللسان العربيّ مثلما يدلّ عليه قوله: "وانظر من تقدّم له شيء من العجمة كيف يكون قاصرا في اللسان العربيّ أبدا، فالأعجميّ الذي سبقت له اللغة الفارسيّة لا يستولي على ملكة اللسان العربيّ ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلّمه وعلّمه وكذا البربريّ و الروميّ والإفرنجيّ قلّ أن تجد أحدا منهم محكما لملكة اللسان العربيّ. وما ذلك إلا لما سبق إلى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر" [المقدّمة ص 630]. ونفهم من تعداد أمثلة العجم من فرس وبربر وروم وإفرنج أنّ ابن خلدون يوحي بعسر حصول ملكة اللسان العربيّ لمن حصلت له ملكة أولى من لسان آخر. وحتّى اذا داوم المستعرب على اللسان العربيّ بالتعلّم والتعليم فإنّ القصور يلازمه. ويجزم ابن خلدون بهذه النتيجة اعتمادا على مخالطة للعجم في الأندلس والمغرب وإفريقيّة [المقدمة ص629].

ومخدوشة. ويرى ابن خلدون أنّ المستعرب يحصل على الملكة إذا لم يخالط اللسان العجميّ بالكلّية ولكن ذلك من الندور.

ويسوق ابن خلدون مثال صبيّ ينشأ ويربى في جيل العرب فإنّه يصير كواحد منهم مثلما ورد في قوله: "ومثاله لو فرضنا صبيّا من صبيانهم (من المستعربين) نشأ وربي في جيلهم فإنّه يتعلّم لغتهم و يحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتّى يستولي على غايتها. وليس من العلم القانونيّ في شيء وإنّما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه"[1]. ونفهم من هذا الشاهد أنّ ابن خلدون يوحي بأنّ المطابقة تامّة بين من نشأ من العرب ومن نشأ من المستعربين بين العرب وربي بينهم، ونستنتج ذلك من الفعلين (يحكم) و(يستولي). ويقرّ صاحب المقدّمة ضمنيّا بأنّ الإنسان يملك استعدادات تؤهّله لاكتساب الملكة سواء كان عربيّ الأصل أو مستعربا.

وينطبق ما يحدث بين الملكتين الأولى والثانية على إجادة فنّي المنظوم والمنثور معا لأنّ الملكة الأولى تسبق ملكة أخرى في المحلّ وتستحكم به ممّا يعيق الثانية عن منازعتها. وإذا حصلت لأحد ملكة في صناعة فقلّ أن يجيد بعدها ملكة أخرى و"مثال ذلك الخيّاط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورسخت في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء إلاّ أن تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها"[2]. ونتبيّن من هذا الشاهد أنّ منازعة الملكة الثانية الملكة الأولى تحدث في ما هو فكريّ وعمليّ. فلا فرق بين دخول النجارة على الخياطة أو النثر على النظم.

2.4. الملكة الثانية

نشأت الملكة الثانية في إفريقيّة والمشرق. فقد خالط العرب العجم وغلبت العُجمة على اللسان العربيّ. وصارت (الملكة الثانية) لغة أخرى ممتزجة، والعجمة فيها أغلب... وهي عن اللسان الأوّل أبعد[3]. و خالط العرب "الفرس والترك وتداولت بينهم لغاتهم واتّخذوهم خَولا ودايات وأظآرا ومراضِعَ... ففسدت

1 المقدّمة، ص ص 622- 624.
2 نفسه: ص 618.
3 المقدّمة، ص 618.

لغتهم بفساد الملكة حتّى انقلبت لغة أخرى"[1] وحدث امتزاج لغويّ في الأندلس مع عجم الجلالقة والإفرنجة و"صار أهل الأمصار كلّهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف بعضهم بعضا كما نذكره وكأنّه لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم"[2].

ونلاحظ أنّ الملكة الثانية بعيدة عن لغة مُضر وعن لغة الجيل العربيّ. وتختلف باختلاف الأمصار في الاصطلاحات "فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب وكذا أهل الأندلس معهما". ونفهم أنّ الملكة الثانية فقدت الإعراب إلاّ أنّ كلّ واحد يؤدّي مقصوده ويُبين عمّا في نفسه.

3.4. ملكة البلاغة

يميّز ابن خلدون بين الملكة اللسانيّة وملكة البلاغة. فالأولى معرفة القوانين العلميّة للّغة التي يستنبطها أهل صناعة اللسان ويستعملونها في نظم الكلام. وهي تتمكّن وترسخ بممارسة كلام العرب وتكرّره على السمع والتفطّن لخواصّ تراكيبه. ونلاحظ من هذا الشاهد أنّ المتكلّم يستقرئ التراكيب ليوظّفها في النظم.

أمّا ملكة البلاغة فإنّها تتحقّق بـ"مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواصّ تقع للتراكيب في إفادة ذلك"[3]. فهي إذًا عمليّة النظم المبنيّ على ربط الأنظمة اللغويّة بأوجه كلام العرب وأنحاء مخاطباتهم و خواصّ تراكيبهم. وإذا كانت الملكة اللسانيّة تكسب القدرة على النظم فإنّ ملكة البلاغة تعني القدرة على "وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم"[4]. ويطابق هذا التعريف معنى المتكلّم بلسان العرب أو البليغ فيه. فهو "يتحرّى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم. وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتّصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه و سهل عليه أمر التركيب حتّى لا يكاد ينحو فيه غير

1 انظر في المقدّمة الفصل الثاني والأربعين: في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنّه لا يحصل للمستعربين من العجم. ص.ص 622-624.

2 نفسه: ص 622.

3 نفسه: ص 622.

4 نفسه: ص 613.

منحى البلاغة التي للعرب"[1]. ونخلص من هذا الشاهد إلى أنّ البليغ في كلام العرب ينظم الكلام طبق أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم. وليست التراكيب عند ابن خلدون نظما آليّا بل تستوجب أن تكون مطابقة لسياقات المقام وإفادتها.

ولا يشير ابن خلدون إلى حصول مفردات اللغة فحسب بل يقرنها بالأساليب في التخاطب وكيفيّة التعبير عن المقاصد. ونفهم عندئذ أنّ الحصول لا يكمن في اكتساب المفردة في حدّ ذاتها بل وباستعمالها في سياقات المقام مثلما تدلّ عليه لفظة أساليب في الجمع ومثلما تعبّر عنه كيفيّة التعبير عن المقاصد. فهي ملكة نظم الكلام على أوجه كلام العرب وأنحاء مخاطباتهم.

4.4. الذوق

يعرّف ابن خلدون الذوق بأنّه "حصول ملكة البلاغة للّسان"، واستعار لفظ "الذوق" للملكة عندما ترسخ وتستقرّ. ويعلّل استعمال هذا المصطلح باشتراك اللسان في إدراك الطعوم وفي كونه محلاّ لهذه الملكة و"لكن لمّا كان محلّ هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محلّ لإدراك الطعوم استعير لها اسم الذوق"[2].

ويوظّف ابن خلدون الذوق في التفريق بين الحاصلين على الملكة من أهل اللغة وبين الطارئين عليها مثل الفرس والروم والترك في المشرق والبربر في المغرب وإفريقية. ويفسّر قصورهم بحصولهم على الملكة في اللسان العربيّ ومخالطتهم الأعراب في مرحلة متقدّمة من العمر.

يتجلّى ممّا سبق من تحليل "درجات الملكة" أنّ "الملكة الأولى" تعدّ المفهوم الأساسيّ الذي يتضمّن مبدئيا الملكة اللسانيّة، وهي تمثّل الدرجة الأولى من سُلّم الملكات لأنّها استقراء التراكيب ممّا استبطن من استعمال أهل اللغة وتفطّن لخواصّها. فالملكة اللسانيّة قدرة على النظم وتوليد الجمل طبق خواصّ التراكيب في اللسان. وتعقبها ملكة البلاغة التي تتمثّل في نظم الكلام بأوجه أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم. أمّا الذوق فإنّه يرتقي بالإنسان إلى أعلى درجات حصول الملكة. وهو يسند إلى البلاغيين ولا يحصل للمستعربين من العجم اللّهمّ إن ولدوا

1 المقدّمة، ص ص 622–624.

2 نفسه: ص 629.

وربّوا في العرب دون مخالطة العجم .

5. نتائج البحث

نقف على النتائج التالية من تعدّد تسميات الملكة في مقدّمة ابن خلدون وهي:

أوّلا: يقتضي تعدّد مجالات الملكة الفكريّة والصناعيّة تعدّد تسميات هذا المفهوم وتوليد ما لا نهاية له من الإضافات لتعدّد صنائع الإنسان واتّساع مجالات فكره. فإذا استعمل ابن خلدون ملكة النجارة أو البناء أو الحياكة أو ملكة البلاغة أو ملكة الكتابة أو الخطّ فلا يعني أنّ توليد التسميات يتوقّف عند هذا الحدّ وإنّما ينفتح على ملكة الحدادة وما شابهها وعلى ملكة الاستنباط أو القياس أو الرسم وما حذا حذوها. ولمّا كانت الملكة متجذّرة في فكر الإنسان وعمله فإنّ توليد تسمياتها كامن فيها ومتجّدد بتجدّد كينونة الإنسان و قدراته على الإبداع والنشاط.

ثانيا: يدلّ إلحاق صفة ما بالملكة أو إضافتها إلى اسم من الأسماء على نزعة العربيّة إلى التوليد حسب هذا المنوال لما يستحدث من مقابل عربيّ لمصطلح أجنبيّ.

ثالثا: تتقاطع تسميات الملكة في مجالات استعمالها ومراحل تطوّرها، ممّا يدلّ على أنّها لم تستقرّ بعد لاسيّما المطّردة منها.وتتقاطع أيضا مع ما يعلق بالملكة من أفعال ومشتقّات ممّا يؤكّد على أنّ تسميات الملكة لم يصطلح عليها بعد اصطلاحا محدّدا. لهذا السبب تعدّدت أشكال التعبير عن المدلول الواحد بالمركّب النعتيّ أو الإضافيّ وبما يعلق بالملكة من أفعال ومشتقّات. ولا ننظر إلى هذه الظاهرة سلبا بل نعتبرها تعدّدا و تناميا لمجالات الملكة وخصوصياتها.

رابعا: اعتبرنا مجموعة من التسميات عامّة من ضرب ﴿الملكة المطلوبة﴾ أو ﴿المقصودة﴾ أو ﴿النافعة﴾ لأنّها وردت مرّة واحدة واتّسمت بالعموميّة، ولأنّها لم تختصّ بإفادة مجالات الاستعمال وخصوصيّات التطوّر.

خامسا: ظلّت تسميات الملكة عالقة بالمفهوم الأصليّ للملكة، لذلك فهي ليست مصطلحات مستقلّة عن بعضها البعض إنّما تنتمي إلى مدلول أساس وتعلق به سواء بالإشارة إلى مجالاته أو بتحقيق بعض سماته.

سادسا: ملكات الألسن واللغات بمنزلة ملكات الصنائع في عسر إجادة ملكة ثانية لمن استولت عليه ملكة أولى. فالملكة الأولى تنازع في المحلّ الملكة اللاحقة بها وتعيق سرعة قبولها وتمنعها من بلوغ التمام.

سابعا: من استحكمت فيه العُجمة من المتعلّمين فإنّه يكون قاصرا في اللسان العربيّ. فالأعجميّ الذي سبقت له اللغة الفارسيّة لا يستولي على ملكة اللسان العربيّ. ويظلّ قاصرا في ذلك ولو تعلّمه وعلّمه. وإذا استحكمت العجمة بالبربريّ أو الروميّ أو الإفرنجيّ فإنّه يكون قاصرا في ملكة اللسان العربيّ حتّى وإن طلبها من أهل اللسان. وما ذلك إلاّ لما استحكم في ألسنتهم من عجمة.

ثامنا: ليست الملكة علم اللسان صناعة بل علم اللسان ملكة .

تاسعا: نتبّين أنّ ابن خلدون ينظر في مراتب الملكة و يحددّ الفروق بينها، و لم يحد بهذا النظر والتدقيق عن نهجه في كتابة التاريخ سواء في إخضاع الملكة إلى مراتب أو اتّسامها بالتمكّن والاندثار شأن ما يحدث بالأمصار.

عاشرا: لمّا كانت الملكة تتنزّل في منظور تاريخيّ فإنّ ابن خلدون أظهر تغيّراتها شأنها شأن المدن والأمصار. ومن ثمّ اكتسبت تسميات تنبني عن نشأتها وتمكّنها ثمّ فسادها واندثارها. ويسهم هذا المنظور بدوره في إحداث تسميات الملكة. وتتعاضد مجالات استعمال الملكة بما تكنّه من خصوصيات وتغيّرات لتحدث هذا الكمّ من التسميات إلى جانب أنّ مصطلحات الملكة لم تستقرّ ولم تتبلور بعد ممّا جعل ابن خلدون يعمد إلى أشكال عدّة في صياغة المفهوم الواحد لاسيّما للتسميات المطّردة مثل ملكة اللسان أو ملكة الصنائع.

وتنبني الملكة على طبقات شأنها شأن المجتمعات. وقد جاءت في سلّم يدلّ على درجات اكتساب الملكة ويتكوّن من الملكة الأولى فالثانية فملكة البلاغة والذوق. وتقوم تغيّرات الملكة وطبقات اكتسابها على مراحل ثلاث وهي تماهي المراحل الثلاث لحياة الإنسان ولادة فشبابا فشيخوخة.

الخاتمة

انبنى بحثنا على إشكاليّات تتأتّى من تعدّد تسميات الملكة في مقدّمة ابن خلدون. وتبيّنا بالنظر في هذه التسميات وسياقات استعمالها أنّ تعدّدها يفسّر بتعدّد

مجالاتها الفكريّة والصناعيّة. ولمّا كانت تشترك في الخصوصيّات ذاتها فإنّنا نعتبرها قائمة مفتوحة تتنامى بتنامي أنشطة الإنسان وأفكاره. فلا فرق بين ملكة النجارة أو الخط أو البلاغة مع اعتبار خصوصيّة كلّ مجال من المجالات ؛ وإذا استعملنا اليوم ملكة البناء فلا مانع من استحداث ملكة الحياكة أو الرسم .

ولا نستقي خصوصيات الملكة ممّا ولّده لها ابن خلدون من تسميات بل كذلك ممّا يلحق بالملكة من إضافات من ضرب ﴿قصور الملكة﴾ أو ﴿حصول الملكة﴾ وكذلك ممّا يعلق بها من أفعال من ضرب ﴿قصرت الملكة﴾ أو ﴿فسدت﴾ أو ﴿نشأت﴾ أو ﴿استولت واستحكمت﴾. وتتنزّل هذه الأفعال في منظوري ابن خلدون التاريخيّ واللسانيّ التربويّ؛ أمّا التاريخيّ فلأنّ هذه الأفعال تصوّر تغيّرات الملكة من نشأة فنمّو فاندثار مثل المدن والأمصار، وأمّا اللسانيّ فلأنّ ابن خلدون يقّر برسوخ الملكة واستحكامها بالنفس وإلاّ فلا تكون ملكة. وإذا تمكّنت فلا تنازعها ملكة أخرى في محلّها.

وحاولنا في هذا البحث أن ندقّق مفهوم الملكة في مقدّمة ابن خلدون. وذلك بتتبّع سماتها وما يحفّ بها من مصطلحات. وحلّلنا الملكة في أصناف العلوم وأحواله وفي المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع. وجاء تحليلنا للملكة الأولى والثانية والملكة اللسانيّة وملكة البلاغة والذوق ضربا من التعريف واستنباطا لدرجات اكتساب هذا المفهوم.

وأخضع صاحب المقدّمة الملكة لسمات الحركة والتطوّر والتفاعل شأنها شأن الأحداث التاريخيّة. فالملكة تقوى و تهن و تتغيّر بالفتوحات وتتأثّر بالجوار وبمن يُقدِم على استعمالها. والطريف أنّ ابن خلدون أدرك سماتها وكشف عن تحوّلاتها تاريخيّا وتزامنيّا.

وجملة الأمر أنّ مجموعة من التسميات تسم الملكة بخصوصيّات معيّنة مثل الرسوخ والاستحكام. ولئن أكسبت المفهوم سمة ما فإنّها ظلّت عالقة بالملكة ولم تستقلّ عنها لأنّها لا تعني مفهوما جديدا ولأنّ التسمية مازالت معجميّا حديثة الاستعمال. لذا ليس بالإمكان أن نصطلح على المفهوم المستحدث "بالراسخ" لوحده بدل أن نقرن الصفة بالموصوف بقولنا" الملكة الراسخة". وتسهم هذه الخصوصيات في إحداث تسميات للملكة مثل الإشارة إلى مجالات الاستعمال ومراحل التطوّر.

المصادر و المراجع المذكورة

- اتّحاد الأطبّاء العرب (1984)، المعجم الطبّي الموحّد، انجليزي عربيّ فرنسيّ الطبعة الرابعة.
- ابن البيطار، (أبو محمّ عبد الله بن محمّد بن أحمد)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ثلاثة أجزاء؛ الترجمة الفرنسيّة:

Traité des simples d' ibn El Beitar tome premier traduit par Lucien Leclerc publié par l' institut national de France Paris 1877-1883.

- ابن خلدون (عبد الرحمان) (د.ت)، المقدّمة، بيروت، دار الجيل، 657 ص.
- الجليدي (مصدق)، (أكتوبر 2006)، ابن خلدون في مرايا الفكر التربوي المعاصر، الحياة الثقافية، (تونسية).
- رشيد (فوزي)، (ماي 2006)، أفكار جديدة حول الملكة اللسانية عند ابن خلدون، مجلّة "الحياة الثقافية" (تونسيّة)، العدد 173، عدد خاصّ بابن خلدون ص ص 246-251.
- زكريا (ميشال)، (1986)، الملكة اللسانية في مقدّمة ابن خلدون، (دراسة ألسنية)، بيروت المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. 144 ص.
- الشكيلي، (هاجر)، (2001)، الأسماء المركّبة في العربيّة، المعجم الوسيط نموذجا، جامعة قرطاج، المعهد العالي للغات بتونس، 101 ص.
- شورو، (فريدة)، (2000)، الاسم المركّب في الميدان العلميّ، المصطلح الطبّي نموذجا، 142 ص، جامعة قرطاج، المعهد العالي للغات بتونس.
- العجم (رفيق)، (1997)، مصطلحات جامع العلوم الملقّب بدستور العلماء، بيروت، مكتبة لبنان، ص ص 889-890.
- الكشو، (رضا الطيّب)، (2018)، توظيف لسانيّات المدوّنات وتنميط النصوص في إعداد البرمجيّات العربيّة الذاتيّة، نُشر في المجلّد الأوّل من وقائع المؤتمر الدولي "اللغة العربيّة والدراسات البينيّة، الآفاق المعرفيّة والرهانات المجتمعيّة"، الرياض 9-10 رجب 2015/1426، الرياض، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، مركز دراسات اللغة العربيّة وآدابها، ص ص 55-98.
- الكشو (رضا الطيّب) (2003)، القدرة التواصلية وتعليم اللغة، (رسالة دكتوراه) جامعة منّوبة، كليّة الآداب، غير منشورة.
- الكشو، (رضا الطيّب)، (2012)، نحو منهج لساني لاستجلاء خصوصيّات اللغات، وقائع الندوة الدوليّة، ديناميّة اللغات وسيادة الثقافات، أيّام 15 - 16 -17 أفريل 2010 منشورات المعهد العالي للغات بتونس.
- المسدي (عبد السلام)، (1994)، قضايا في العلم اللغوي، الفصل الرابع، الدار التونسية للنشر ص ص 151-192.
- ابن منظور (ملحق)، معجم المصطلحات العلميّة والفنّية، عربيّ – فرنسيّ – انجليزي – لاتيني، قدّم له الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف الخيّاط، المجلّد السابع، دار لسان العرب، بيروت.

- المهيري (عبد القادر)، (1993)، أعلام وآثار من التراث اللغوي، دار الجنوب للنشر، تونس. 145-161.
- المهيري (عبد القادر)، (1993)، نظرات في التراث اللغوي العربي، مصطلحا "اللغة" و"اللسان" عند ابن خلدون، دار الغرب الاسلامي ص ص 181-187. علما أنّ المقال نشر أوّلا في "حوليات الجامعة التونسيّة" عدد 25 في 1986 ص ص 27-35.
- الميساوي، (خليفة)، (2013)، المصطلح اللسانيّ وتأسيس المفهوم، الرباط، منشورات ضفاف، منشورات الإختلاف ص ص 157 – 171.
- Chomsky (N), (1965), Aspects de la théorie syntaxique, traduction de Jean-Claude Milner) (1971), Paris p 283.
- Chomsky (N), (1966), La linguistique Cartésienne suivi de la nature formelle du langage, traduit de l'Anglais par Neluya Delanse et Dan Sperber (1969), Paris pp 125-131.
- Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition (1991), Ibn Khaldun, T pp 849-856.
- Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition (1991) Malaka, T VI, p 214.
- Hymes (D), (1984), vers la compétence de communication, Paris p 99.
- Kechaou (Ridha), (1993), Quelques difficultés dans l'apprentissage de l'Arabe comme langue étrangère, IBLA, n°171, pp 101-110.
- Oréchioni (Kerbrat) (1990), les interactions verbales, Paris, Armand Colin, pp 29-37 (La notion de compétence).